

مُحمَّد إبرَاهِيمْ
سبع سُنبلات
كتاب يهمس في أذنك
بصدق عن حقيقة المشاعر
وطريقة التعافي من الخذلان.
دار دوّن

محمد إبراهيم

سبع سنبلات



تقديم

نهاية يوم آخر- السابعة مساءً

أجلس في شرفتي متأملًا تلك السنوات التي مضت من عمري، وهي تلوح لي بعيدًا جدًّا.. بين عدد لا نهائي من الذكريات والمشاعر المتضاربة والكثير جدًّا من الأمنيات الراحلة، والقليل من الأمنيات المتحققة.

أجدني أتساءل بيني وبين نفسي: «هل أنت سعيد الآن؟».

تجيبني ضحكة بعيدة تطلقها ابنتي الصغيرة، وهي تقاوم في دلال محاولات أمها الباسلة لإطعامها ملعقةً صغيرةً من علبة الزبادي بين يديها.

تردُّ على سؤالي ضحكة تلك الطفلة الصغيرة المشاكسة مثل أبيها لتقول لي:

- «وكيف لك ألا تكون سعيدًا»؟

نعم، رغم كل شيء أعترف لنفسي بأني سعيد. سعيد بالتجربة والمحاولة.. سعيد بالإخفاقات والمحاولات المستميتة للبقاء حيًّا وسط كل هذا العالم الصاخب المليء بالحزن والوحدة والخيانة والكذب والحقد الدفين وافتقار المسؤولية ومحاولات

الجميع من حولك لإفشالك وتثبيط عزيمتك.

سعيد رغم رحيل من رحلوا، وبقاء ذكرياتهم الحزينة تتراقص حولي كل يوم.. سعيد؛ لأنها تذكّرني كل دقيقة من أنا، ومن كنت، ومن أريد أن أكون.

العمر ساحة حرب مستمرة.. صغيرة أحيانًا لا تزيد على بعض المناوشات العادية مني ومنها.. وكبيرة ملحمية دامية في أوقاتٍ أخرى.. لكني وبعد أن تعرفت على نفسي في نهاية المطاف اكتشفت أنني لو لم أخض كل هذه المعارك والانكسارات والهزائم والانتصارات لم أكن ما أنا عليه الآن.

سعيد؛ لأنني راضٍ بما قسمه الله لي في النهاية من خبرة التجربة، فلولاها لم أكن لأعلم قيمة النفَس البسيط الذي أتنفسه.. والضحكة الرائعة التي تطلقها صغيرتي الآن.. وجملة «خلي بالك من نفسك» التي تطلقها صغيرتي الأخرى (زوجتي) ونصفي الآخر في كل شيء.

ومن رحم التجارب، والانكسارات، وأغنيات البقاء والوداع، وكلمات الذين رحلوا، ووعود الذين بقوا للنهاية.. أحكي لكم عن السنبلات السبع الذين قابلتهم في حياتي.

في بداية كل علاقة دائماً ما يكون هناك أمل ووعود مبهجة بالسعادة اللانهائية.. ورغم أننا نعلم جميعًا أن هذا في الغالب غير حقيقي.. فالحياة ليست بالجنة.

عندما أمر الله عز وجل أبانا آدم بالنزول إلى الأرض قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٨].

تخبرنا الآية الكريمة بأمر شديد الأهمية:

إن الله سبحانه وتعالى أمر آدم وزوجه تكليفًا بالهبوط. لنعرف أن هذا الخطاب موجَّه إلى آدم وذريته جميعًا إلى يوم القيامة[١].

جاء أمر الهبوط بصيغة المثنى.

وما دامت هذه بداية التكليف، فهناك طرفان سيواجهان بعضهما.

الطرف الأول: هو آدم وزوجه.

والطرف الثاني: هو إبليس.

وهذا ما وددتُ أن أتحدث عنه.. فليس من اللائق لجنسنا البشري الذي اصطفاه سبحانه وتعالى أن تتحول معركتنا الطويلة مع إبليس إلى معارك شخصية بين الطرف الأول وبعضه بعضاً.

لماذا نترك الكذب يسيطر على حياتنا بهذا الشكل؟

لماذا نتبادل التهم بالخيانة والجفاء والهروب من المسؤولية والأنانية، في حين أننا دخلنا كل هذه العلاقات والهدف الأوحد منها هو الإحساس بالأمان والسعي وراء السعادة المشروعة؟

---

(١) تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي.

وتطبيقًا لقوله سبحانه وتعالي:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

كيف لنا أن ترتكب هذا الجرم في حق بعضنا؟

السنبلات السبع التي سأتحدث عنها سأحكي لكم فيها بكل أمانة رأيي وخبرتي الشخصية، وما رأيته بعيني أو عشته مع المحيطين.

سنبلات سبع خُضر.. إما أنها تحيي العلاقة، وتسير بمركب الطرف الأول إلى شاطئ الأمان.. أو سنبلات يابسات تمتصُّ دماء العلاقة مهما كانت قوية، وتميتها مهما حاولنا أن نرويها.. فأساس العطش هنا هو عطش المعلومة وافتقار الحكمة ونقص الخبرة والتجربة.

ومما لا شك فيه كما سأكرر دومًا أن ما سأقوله هنا هو رأي شخصي.. مبني على تجارب شخصية، وليس معادلات فيزيائية رقمية لا تخضع للجدال أو النقاش، على العكس، بل هي تختلف ميزانًا وتطبيقًا من شخص لآخر، ومن علاقة لأخرى، ومن بيت وبيئة لأخرى.. لكنها -وهذا ما أظنه- تلاقت مع الكثير جدًّا من المشاكل التي رأيتها وعشتها دومًا في حياتي وحياة الآخرين.

محمد إبراهيم



القسم الأول
السنبلات الخُضر

السنبلة الأولى
البرعم

سحر البدايات

الحب

الدافع اللي بيخلينا نتغير ونخرج من المنطقة الآمنة، ونجازف ونضحي ونعمل المستحيل من غير مقابل، الإحساس اللي بيخلينا نمشي من غير ما نسأل إيه اللي هيحصل بكره، ونعافر عشان نفضل متمسكين ببعض.

الرابط الغريب اللي بيخلي كل حاجة ليها طعم، الجنون اللي بيخلينا نوصل لأعلى معدلات **الدوبامين (السحر الحلال)**[1].

الحب اللي ممكن يبقي بين الصحاب والأهل، ممكن نقول حبك للسينما وللكورة، حبك للمزيكا وللقراية، حبك لنفسك ولمستقبلك اللي انت بتحلم بيه، الحب يليق بكل حاجة، أي حاجة بتحركك ناحية أي شيء وتخليك تبذل مجهود وانت مستمتع ومش مستني مقابل.

الحب في بدايته بيبقى قايم على العطاء.

كل واحد بيبقى عايز يدّي للتاني كل حاجة؛ لأن كل واحد بيحاول يقول بأفعاله «**أنا أستاهل أتحب**»، وكل واحد بيحاول

---

(١) مادة تفرز في المخ، وتُعرَف عالميًا باسم «هرمون السعادة».

يبهر التاني ويأكد له إنه اختار صح، كل واحد بيحاول يقدّم نفسه باندفاع فيه كم عجيب من التصرفات المجنونة، بداية من الطريقة اللي اتعرفتوا بيها على بعض، ومروراً باليوم اللي بتبقى واقف فيه تحاسب (**الكاشير بتاع لابوار**) وانت رايح تخطب، لحد اليوم اللي بيتقفل عليكم فيه باب واحد، وسط هالة من الزغاريد والأمنيات بالرفاء والبنين والسعادة.

الحب إحساس مدهش وكأنه نداهة بتندهك، وتخليك تجري وراها زي المجاذيب، إحساس إنك طاير، وإنك لامس كل نجوم السما وانت ع الأرض، إنك مش عايز حد يفوقك، ولا عايز حد يعارضك، ولا عايز حد يحكم على تصرفاتك.

بتكون مبسوط بنفسك بشكلها الحالي أيًّا كان ومرتاح وراضي عن كل حاجة بتعملها.. كل همك إنك تسعد الطرف التاني بأي شكل، ساعتها بتعرف يعني إيه جملة (**تعبك راحة**)؛ لأنك وقتها مش هترتاح فعلًا غير لما تحس إنك تعبت عشان اللي بتحبه.

نزار قباني بيقول:

لولا المحبة يا مدللتي ما أصبح الأنسان إنسانا

وده لأن الحب جميل بيردّ الروح، وبيحسس الإنسان بنفسه تاني، أي إنسان لما بيتحب بيحس إنه منور أو على الأقل بيقدر يواجه لحظات الانطفاء والانهيار اللي مرّ بيها.

الحب هو البداية الجديدة اللي بتظهر لك بعد ما تحس إنك

هتفضل في نفق الوحدة طول عمرك، بيبقى طوق النجاة اللي بيتمدّ لك في عز ما انت فاقد الأمل ومش عارف تحس بأي حاجة ناحية أي حد، وخصوصًا لو حبيت حد من فئة المدهشين، المبدعين، اللي بيعملوا كل حاجة بطريقة مختلفة، الناس اللي بتخليك تعيد اكتشاف ذاتك، الناس اللي بتستفز مشاعرك وبتجننك معاهم.

لأن فيه علاقات بتبقى عاملة زي المياه الراكدة، علاقات فيها ثبات ممل، علاقات غير بتوع المفاجآت غير المتوقعة، غير بتوع:

- «انزلي أنا تحت البيت».

أو:

- «البسي أنا عازمك ع العشا».

غير اللي هياخدوا بالهم إنك قصّيتي شعرك أو لبستي فستان جديد، واللي هتاخد بالها إنك بتحب الشاي بارد من غير ما تقول.

غير المزاجانجية في الحب والناس اللي بتحب برواقة، اللي بتاخد القرار وتنفذ، ملهومش في الحب بتاع الشوكة والسكينة، دول ناس لما بتحب بتنجرف ومفيش في قاموسهم كلمة فرامل، اللي من وجهة نظري بيشكّلوا أصدق وأمتع أنواع الحب، وده عشان نسبة الزيف فيه صفر ٪ (**كل حاجة طالعة من القلب للقلب فعلًا**).

الحب هو اللي بيخليك فاكر طعم أول كل حاجة.

أول مرة تشوفها، أول مكالمة تفصل بعد ساعة، أول أغنية تبعتها، وأول صورة في المحفظة، وأول خروجة، وأول هدية، الحب هو ابتسامتك وانت بتراجع الرسايل القديمة في فترة الاستهبال وجسّ النبض، هو الحاجات اللي انت عملتها عشان تتعرفوا على بعض، هو الماسنچر اللي بيعلق بالصدفة، ورحلتكم الى الواتساب، هو البوستات المقصودة والقلق اللي عشتيه لما موبايله فصل، هو طعم أول مرة تسمع كلمة «بحبك» منها بعد فترة المكابرة، وأول مرة تحس إن حياتك اتحولت لشخص واحد كل همك ازاي تخليه دايمًا مبسوط وراضي، هو أول خناقة، وأول كلمة آسف، أول قلب أحمر بعد آلاف القلوب الخضرا اللي اتبعتت لك، وأول وحشتني اتقالت، هو طعم كل تفصيلة عملت لحياتك طعم، وكانت قشة مسكت فيها وانت غرقان في وحدتك.. هو ده الحب اللي بيخليك لامس كل نجوم السما وانت ع الأرض!

وعشان كده أول ما تحس إنك بتتجنن وبتتصرف من غير خطة، وإن حياتك اتلخبطت وخلاص مش عارف انت رايح فين بس مبسوط اعرف إنك بتحب.

أنا عن نفسي مكنتش مصدق ازاي بتتحقق جملة إن السعادة ممكن تيجي من رحم المعاناة حرفيًّا، وازاي ربنا بيبعت لك

شخص في فترة انهيارك وهزايمك وخسايرك عشان يكون سبب رجوع كل حاجة لمسارها الطبيعي.

وكنت كتبت قبل كده

«اطلع بروحك للسما ومدد   ربك كريم جاي بالمدد حالًا

في حاجات عشان للأحلى تتجدد   لازم كده تتهد إجمالًا»

خلوني أحكي لكم إن في نفس السنة وانا بعيش أسوأ فتراتي وبمر بانتكاسة مكنش يتهيألي وقتها إني أقدر أقوم منها وفي يوم عادي، يوم جه بعد خساير متكررة في كل اتجاه، وكنت مكتئب بقالي شهور.. بطلت أخرج من البيت تقريبًا، بطلت أكتب، صحتي بتسوء، سبت شغلي، صحابي اتفلتروا في زحمة حزني، مفضلش غيري معايا في الآخر، كنت بفكر بشكل في منتهى السلبية والبؤس، كنت حاسس إني انطفيت ووقعت، ومش ممكن أقوم تاني.. لحد لما قابلت حب حياتي، وكل حاجة ابتدت تاني، وحسيت إني رجعت عندي طاقة ومتوهج وعايز أشتغل وأنجح وأقاوح وأقف تاني على رجلي.

حكيت القصة بالتفصيل في كتاب «مطلوب حبيب»

بس المرة دي هكلمكم عن سحر البدايات اللي أنا عشته، وإن أول ما عرفت مراتي مكانتش تعرف عني حاجة، اهتمامها كله كان بالتصوير وبالرسم، حتى كانت تسمع عني، بس عمرها ما قرأت لي حاجة.

ده كان حب من أول نظرة، وكأني كنت عايز أقول لها الحقيني، أنقذي حياتي، أنا محتاج لك، أنا حبيتك!

حقيقي معرفش ازاي كل الكلام ده كان جوايا من أول مرة شفتها فيها، كل الكلام ده خرج مني في كلمة واحدة: «**اوعي تمشي**».

وبعد ما بدأنا نتكلم قالت لي إني كنت يوم ما اتقابلنا ببصلها زي ما اكون أعرفها لدرجة إنها افتكرتني بشبِّه على حد، بس أنا كان قدامي في الحفلة أكتر من ٥٠٠ شخص، وفي الحقيقة أنا مكنتش شايف غيرها حرفيًّا.

حكت لي هي بعد كده عن إنها شافتني زمان مرة وانا خارج من مكان، وكنت منكوش ومتبهدل ومكشر وبتخانق مع دبان وشي، ومع ذلك بصيت لها نفس البصة، لدرجة إن واحدة صاحبتها سألتها (هو بيبص لك كده ليه؟).

والغريب في الموضوع إني مش فاكر الموقف ده تمامًا، وكأنه اتمسح من ذاكرتي فعلًا، بس لما قالت لي كده اتأكدت أكتر إنها قدري ونصيبي.

كنت مصدق من قبل ما أعرف حتى اسمها إني هتجوزها، مفيش تفسير حقيقي للي حصل غير إن وجود مراتي في حياتي كان استجابة ربنا لدعوة أمي لما كلمتها وهي في العمرة، وانهارت من العياط وقولت لها ادعي لي ربنا يجبر بخاطري، المكالمة دي كانت قبل

ما أقابل مراتي بفترة بسيطة، وطول الفترة دي رسايل ربنا حواليا كانت بتطمني جدًّا، وبتحسسني إن الدعوة في طريقها للاستجابة.

كنت طول الوقت قدامي آية من سورة الضحى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ وسبحان من رزقني بعدها بـ«آية».

من الحاجات اللي خلتني أتمسّك بيها جدًّا إنها كانت طول الوقت بتختارني، وطول الوقت باقية عليا، مبسمعش منها دايمًا غير كلمة: (أنا جنبك)، (متزعلش)، (أنا عايزة أكمل)، كانت دايمًا تقولي: (تزعلك الدنيا وأراضيك أنا).

وعلى الناحية التانية مكنتش أتحمّل زعلها أبدًا، كنت متعود كل ما تزعل أروح أجيب بوكيه الورد وأعملها زيارة مفاجئة عشان أراضيها وأطيب خاطرها.

ولما جينا في الفترة اللي قبل الفرح دي اللي كنا بنختلف كتير، ومضغوطين أكتر، فكنت كل أسبوع أجيب بوكيه ورد وأروح، لدرجة إنها جت في مرة قالت لي:

- بقولك إيه، هو انت كل مرة تزعّلني هتجيب لي ورد؟ المرة الجاية ابقى هات حاجة ناكلها سوا.

أنا لحد النهارده معرفش بحبها ليه تحديدًا، بس دايمًا بشوفها طوق نجاتي، وسبب سعادتي، والفرصة التانية اللي جت لي عشان أكون الشخص اللي أنا عليه دلوقتي، ممكن سحر البدايات يكون ما استمرّش، وفترة الاستهبال بتاعته انتهت، وده طبيعي، بس

الحب بيكبر والعشرة بترفع من رصيد الغلاوة، واحنا من وقت للتاني بنفتكر فترة البدايات ونتنهد ونضحك ونجدد مشاعرنا عشان الذكريات الجميلة دي هي اللي بتخلي الحب يدوم؛ لأن الحب أكبر نعمة في حياة أي إنسان، المهم إنه يكون مع الشخص المناسب عشان ينوّر ويحس بنفسه.

في فيلم «**نادي الرجال السري**» غادة عادل اكتشفت إن كريم عبد العزيز بيخونها سألته: «حبيتها؟» قالها: «حبيت نفسي معاها». وعشان محدش مننا يقع في نفس الفخ، أنا مش ببرر الخيانة طبعًا، ومش معترف إن فيه مبرر أبدًا ليها.

لكن خلينا نحط إيدنا على نقطة مهمة، وهي إن أهم شيء في الحب إنك تبقى بتحب نفسك مع الشخص اللي انت بتحبه.

***

السنبلة الثانية

الفروع



«زدني بفرط الحب فيك تحيرًا»[1]

«الحب شيء جميل، عندما تجده، فإن العالم أجمع تنبعث منه رائحة أحلام اليقظة»

من فيلم deadpool-٢٠١٦

ده بالظبط اللي بيحصل لك كنتيجة منطقية لمرحلة سحر البدايات، إنت بتكون لسه مخرجتش من مرحلة السحر، بل بالعكس إنت غرزت فيها، إنت وبكل معنى الكلمة وترجمتها الحرفية بتعيش إحساس الـ **Falling In Love**.

وقعت على وشّك.. حبيت.. حبيت فعلًا.. خرجت من مرحلة الانبهار والإعجاب لمرحلة التعلق الحقيقي بالشخص.. التعلق بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة، بنبرة صوته ونظراته وضحكته وتعابير وشه وهو بيتكلم، بالطريقة اللي بيعبر بيها عن زعله، غيرته، تكشيرته، وعصبيته.. شكله وهو سرحان في حاجة.. طريقة لبسه والألوان المفضلة بالنسباله، البرفانات اللي بيستخدمها.. الأكلات اللي بيحبها.. الأماكن اللي بيتردد عليها، كل حاجة متعلقة بيه من قريب أو من بعيد... إنت تلقائيًا بتلاقي نفسك اتعلقت بيها من كتر ما انت بتحبه، وفي الوقت ده إنت

(١) ابن الفارض.

كل اللي بتشوفه بيبقى مميزات.. مميزات بس.

أنا مش عايز أصدمك بالواقع بدري، بس عارف لما تقيس اللبس في البروفة قبل ما ترجع تشوفه تاني في البيت.. كل الحكاية إن انت ماشي ومش عارف انت رايح فين.. لكن مبسوط، مبسوط جدًّا.. شايف حياتك كلها عبارة عن شخص واحد ومتمسك بيه كأنه آخر وسيلة للحياة.. مستعد تحارب الدنيا كلها عشان خاطره.

مستعد تروح لآخر العالم عشان تفضل معاه، تبذل مجهود وتقدم عطاءات وتضحيات كبيرة، وتتنازل عن حاجات مهمة جدًّا بالنسبالك عشان هو يكون راضي، وقتها بس كل اللي بيتفرج عليك من بره مبيبقاش فاهم انت بتعمل كل ده ليه، وليه بتتعب كده، وليه اتغيرت وبقيت بتعمل كل الحاجات اللي محدش كان يتوقع إنك تعملها.

ليه تأجّل خروجتك مع أصحابك مثلًا عشان تروح تشوفها، ليه توفري من مرتبك أو مصروفك عشان تجيبي له هدية، ليه بترغي في الموبايل بالساعات في حين إن انت مع الناس التانية مبتكملش الدقيقة.

تبقى هيمان وعايش كأنك في حلم جميل مش عايز تصحي منه أبدًا ليه.

* * *

- يا بت أبوكي اشترى الهدوم دي عشان تلبسيها.

- إمتى إن شاء الله؟

- يعنى لما تيجي مناسبة.

- لا هتلبسيهم بقى النهارده.

- يا سلام يا ماما عايزاني ألبس فستان جديد عشان أحمي الحمار.

- حمار إيه يا بت اللي انتي مهتمية بيه وسايبة الحمار التاني اللي قاعد في البيت؟!

- هو احنا عندنا حمار تاني في البيت؟

- أيوه.. عطية.

- يا سلام عليكي يا ماما بطلي الهزار ده بقى.. عايزاني أحمّي «عطية» كمان؟

محمد خان لخّص التحول اللي بيحصل في حياة (المُحب) وتأثير سهم كيوبيد عليه في أحد أمتع مشاهد فيلم «خرج ولم يعد» لما كانت ليلى علوي وهي البنت الريفية البسيطة اللي مكملتش تعليمها، ومتعرفش غير شغل البيت بعد ما استجابت لمحاولات أمها في لفت نظرها إنها تهتم بنفسها عشان فيه راجل جديد في البيت، راجل بدرجة عريس مستقبلي، إزاي بان التحول في الشخصية على مدار أحداث الفيلم، وإزاي كان حبها لـ«عطية» لعب دور كبير في اهتمامها بنفسها وحبّبها في

الحياة، وخلاها وخلانا معاها نكتشف قد إيه هي كانت شخصية جميلة وتتحب.

في ٢٠١٥ وتحديدًا في ديوان «زي الأفلام» كتبت قصيدة عن الأثر النفسي للحب على البنت، أول ما بتدخل تجربة جديدة، وإزاي بتتحول من شخصية خايفة تقرّب منك لشخصية ممكن تعمل المستحيل علشانك، القصيدة بتقول:

في مصر البنت خوافة
وشفافة
بتضحك بس مكسورة
ملامح وش في الصورة
عشان ماتبانش نكدية
تبيع لك قلبها كله
مقابل أي حنّية
وتتحول لأهل وبيت
وقلب يساع
وحضن يضم
في مصر البنت لو حبت
بتتحول لطفلة وأم
في مصر البنت لو حبّت
ورود مشاعرها بتنبّت

وترجع كلها رقّة
ويصغر قلبها في السن
يا خوفي منها لما تغير
يا عيني عليها لما تحنّ!
تصاحبك: تبقى أجدع حد
تحبك: يبقى حب بجد
وتبقى اختك وبنوتتك
وحدوتتك ونهايتها
في مصر البنت لو ضحكت
بتضحك ليها مرايتها
يجوز مخلوقة من «سكر»
تدوب ف العمر ف بيحلوّ
يجوز مخلوقة من «طيبة»
وطاقة حب مالية الجو
يجوز في الأصل كات غنوة
بتملاك راحة نفسية
ومهما تلف وتقابل
مايفضلّكش غير هي

أمتع وأهم حاجة في المراحل دي إنك بتلاقي حد شايفك شخص متكامل، شخص تقدر تعمل أي حاجة وده بيأكد على

مقولة تانية من فيلم **Deadpool**

«أنت لا تحتاج أن تكون بطلًا خارقاً، فقط قم بإيجاد الفتاة المناسبة وهي ستجعل منك بطلًا خارقاً».

وأنا بذكر الفيلم ده تحديدًا كمثال عشان بعد ما البطل ملامحه اتشوّهت خلال الأحداث، وكان خايف إن حبيبته تبطل تحبه خصوصًا إنه اختار في البداية يعيش من غيرها لحد ما يلاقي حل لمشكلته، وكان عايش في الوقت ده مع ست مسنة وضريرة يعني كده كده مش شايفاه ومش محسساه بمشكلته اللي شافها في كل نظرات الناس ليه، وكان صدْق الفيلم بالنسبالي في نهايته، وإنه بعد ما حبيبته شافته قالت له:

(بعد فترة هي هتتعود، وفي النهاية هو مجرد (وش)، وإنها هتكون سعيدة لو كملت حياتها معاه).

طبعًا هي مقالتلوش إنه كده أجمل، وإن الجمال جمال الروح، هي قالت الحقيقة اللي تخليه يحترمها ويصدقها ويتقبل دعمها ليه.

كمية الدعم المعنوي اللي انت بتلاقيه من الطرف التاني كفيلة إنها تخليك تتجاوز أي أزمة بتمر بيها، وتخرّجك من دايرة أي ضغط، ووقتها بتحس فعلًا إنك تقدر تعمل أي حاجة.

كذلك في فيلم «**Farida**» وهو سيرة ذاتية عن حياة الرسامة والفنانة التشكيلية فريدا كاهلو، فيه مشهد بيجمع بين فريدا

اللي هي بطلة الفيلم ودييجو حبيبها اللي كانوا بيدخلوا لأول مرة في علاقة، فريدا كان عندها هاجس نفسي من فكرة إن أي حد يقرب لها خصوصًا إنها اتعرضت لحادثة قديمة، وكانت آثار الخياطة والجروح مالية جسمها، وطبعًا ده أثّر على ثقتها في نفسها، وكانت خايفة لو دييجو شاف آثار الجروح والندبات دي إنه يفقد شغفه بيها.. وعشان كده هي بنفسها قالت له إن جسدها كله ندبات وجروح عميقة، وكشفت له أكبر جروحها عشان يشوفه، ومكانش من دييجو إلا إنه قال لها:

(You are perfect)

استخدامه للتعبير ده تحديدًا، واللي معناه (الكمال) كان سبب كافي إنه يمنحها الطمأنينة والسلام النفسي اللي يخليها تحس إنها وجدت الشخص اللي يقدر يشوفها بقلبه قبل عينيه، كون فريدا شخصية مبدعة خلاها تحب نفسها، وتتقبل نفسها زي ما هي، خصوصًا إنها طول الفيلم كانت بتقوله إنها بتحبه أكتر من حبها لبشرتها.. وكانت تقصد ببشرتها هنا آثار الجروح والندبات اللي اتسببت فيها الحادثة.

أنا مثلًا عندي ما لا يقل عن ٣٢ غرزة في أجزاء متفرقة من رجلي الاتنين نتيجة لعمليات تطويل الأوتار اللي عملتها وأنا طفل مروراً بعملية معقدة في الركبة، طبعًا أنا مش هكدب وهقول إني كنت متصالح مع ده من البداية، خصوصًا إن الجروح دي كلها

حصلت في الفترة اللي كنت فيها من ٤ سنين لـ١٥ سنة، يعني عمري ما كنت هبقى مدرك يعني إيه أحب نفسي وأتقبّل عيوبي، بس بمرور الوقت اكتشفت إن لما بحب حد بحبه برغم كل ما هو عليه.. فأكيد لو حد حبني هيحبني زي مانا.. ده هيخليني أحب نفسي وأتصالح مع ذاتي، حتى لو أنا مش متصالح مع شكلي ومع عيوبي سواء جسدية أو حتى نفسية.

أمرُّ على الديار ديار ليلى   أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

(قيس ابن الملوح)

قيس ابن الملوح اللي من كتر حبه لليلى العامرية لما شاف الكلب بتاعها طلع يجري وراه عشان يعرف منه مكانها.. وهو ماشي عدى على جماعة من المصلين وهو راجع قالوا له: إزاي تشوفنا بنصلي ومتصليش معانا؟! قال لهم: «والله ما رأيتكم، ولو كنتم تحبون الله كما أحب ليلى ما رأيتموني قط».

الحب بالدرجة دي من التطرف في المشاعر عمره ما هيخليك تشوف عيوب، وإن شفتها فهي عمرها ما هتهمك ولا هتفرق معاك، حتى لو كانت من وجهة نظر الناس والمجتمع عيوب مينفعش تتجاوز عنها.

وفي فيلم «رسايل البحر» مشهد مهم بيتكلم فيه آسر ياسين اللي هو يحيى عن حبه لبسمة اللي هي بطلة الفيلم.. وازاي هو

بيحبها بس مش قادر لحد اللحظة دي يتصالح مع فكرة إنها «فتاة ليل» مع إنه متعايش معاها ومش قادر يستغنى عنها:

- يحيى أنت تقدر تتجوزها؟

- إنتي رأيك إيه؟ أتجوّزها؟

- ليه يا يحيى؟ ليه يا يحيى تشتري التذكرة لما أنت تقدر تشتري الترومواي؟!

- علشان مش قادر أقبلها زي ما هي.

- يبقى سيبها، ومتتدخلش كتير في حياة الناس.

لازم نكون عارفين إن الحب كفّتين، ومفيش حد كامل، والمفاجأة كمان إننا مبنكملش بعض، إحنا بنتعايش ببعض.. بنتأقلم على بعض.. عيوب شخص بالنسبة لشخص غيره ممكن تبقى مميزات.. عشان كده كل واحد بياخد العيوب اللي مش عارف يشوفها.. أو بمعنى أصح العيوب اللي وقت ما يشوفها يقدر يتعايش معاها.. أو عشان ده اللي هيخليك تلاقي (المفتاح) الحقيقي لأي علاقة ناجحة، وأقصد هنا بالنجاح يعني استمرارية العلاقة.. وقدرة الطرفين على مواجهة كل اللي بيحصل.

وفي النهاية هتلاقي نفسك مش بتاخد حد شبهك، أو بتدور على حد يكمّلك، إنت عايز حد تكمّل حياتك معاه في سلام، حد مهما حصل بينكم يفضل باقي عليك، متحملك وعايز يفضل معاك للآخر، حد يغير وجهة نظرك عن إن الناس محطات.. حد

تقدر تقول عليه:

(My Everything)

وكل واحد فينا عنده حدوتة زي دي، عنده قصة تعب فيها وحب من قلبه، وعاش كل التفاصيل اللي بحكي عنها دي، عاشها واستمتع بيها، وبصرف النظر عن أي حاجة حصلت بعد كده، إلا إننا هنتفق كلنا على إن كل المشاعر اللي عشناها في المرحلة دي كانت بجد.

وخلينا معترفين إن مشكلة المرحلة دي هي إن ممكن تطرفك في المشاعر وجنانك ده يكون عبء على الطرف التاني، وميقدرش يحتويه، ولا يتعامل معاه. لأن انت في المرحلة دي بتكون غير سوي، وتصرفاتك بتبقى مش محسوبة معظم الوقت، وده على قد ما هو ممتع أحيانًا على قد ما هو ممكن يبقى ليه عواقب وخيمة، ممكن تلاقي نفسك من غير ما تاخد بالك بقيت بتحب بطريقة مزعجة، ووصلت لأقصى درجات الحب، وخبطت سقف النشوة، واللي قدامك لسه، لسه بيستكشفك، لسه بيتعرف عليك، وهنا مؤشر الخطورة بيزيد؛ لأنك بتحس إنك بتفرض نفسك عليه، أو بتحبه من طرف واحد؛ لأنك مش بتحس إنه بيبادلك نفس الكم من الطاقة والاندفاع والجنان.

صعب جدًّا إنك تفقد السيطرة على مشاعرك، وتحب من غير لجام.. بس أنا بقول: حاول.. متستعجلش على نفسك..

ومتديش كل اللي عندك.. ومتعملش المستحيل بدري.. عشان ميبقاش المستحيل اللي بتعمله دلوقتي هو الطبيعي اللي لازم تعمله بعد كده.

الحب جنان آه بس لازم يبقى جنان عاقل، درجة بسيطة من العقلانية تمنعك إنك تأذي نفسك أو تأذي اللي معاك.. تبقى مدرك على الأقل انت بتعمل إيه.. وإيه النتايج اللي هتترتب على اللي انت بتعمله.

خد من الجنان اللي في الحب حلاوته.. وجرعة السعادة اللي فيه.. بس اوعى تلغي عقلك خالص.. الحب مش قلب بس.. الحب فيه حسابات.. عشان انت من أول ما بتحب.. بتبقى شخص مسئول عن طرف تاني.

ممكن جنانك ده يبوظ له حياته.. أو ممكن هو يكون مبيحبكش أصلًا.. فيحبك شفقة أو خوف عليك.. أو حتى يحب حبك ليه.. ميحبكش إنت.

في كل الحالات إنت اللي هتتضر.. إنت اللي هتعاني.. إنت اللي ممكن تورّط نفسك في قصة حب من طرف واحد.. وهييجي الشخص اللي انت عملت المستحيل عشانه ويقولك: أنا مطلبتش منك حاجة، وهتبقى انت اللي غلطان وقتها عشان انت اللي رميت تقلك كله واستعجلت على نفسك، وفي الآخر انت اللي حياتك هتبوظ.

يقال: إن راجل شاف دب كبير مربوط وبيعوي.. الراجل اتأزم من اللي شافه، صعب عليه الدب ففك قيوده ونام تحت شجرة عشان يرتاح، وفجأة جت ذبابة على وش الراجل وهو نايم!

قام الدب من كتر حبه في الراجل اللي فكه، وكان سبب في حريته، جاب صخرة كبيرة رماها على وش الرجل عشان يموتها.. فقتله!

وهنا جه مثل «الدبة التي قتلت صاحبها».

عشان كده الحب اللي بيبني ممكن يهدّ.. والحب اللي بيبقى من غير عقل خالص ده.. بيبقى حب مرَضي.. حب مؤذي للي بيحب واللي بيتحب.. افتكر دايماً إن «**من الحب ما قتل**».

* * *

السنبلة الثالثة
السنبلة الصادقة



«واللي صدق في الحب قليل»

بيرم التونسي

كل اللي فات ده جميل، حبيت وعشت في سحر البدايات، واتعميت عن كل عيوب اللي بتحبه، أو على الأقل اتأقلمت عليها.. بس وبعدين؟

الحب رحلة.. طريق بنمشيه احنا الاتنين.. لازم بعد فترة نعرف احنا مع بعض ليه.. وعايزين نعمل إيه في مستقبلنا؟! تخيل؟! تخيل نفسك فجأة بقيت بتقول «إحنا» و«مستقبلنا» و«حياتنا»، وفجأة كل حاجة في الحياة بقت مضروبة × ٢.

وهنا بنبتدي ندخل في الجد، والعلاقة بتاخد أول منعطف من عالم الخيال والأحلام لعالم الحقيقة والواقع اللي احنا عايشين فيه.

فيه مشهد في فيلم «**آسف على الإزعاج**» أحمد حلمي كان بيقول فيه: **أنا نفسي تحبيني أوي يا فريدة.**

ردّت عليه منة شلبي وقالت له:

«**دايمًا بتقول الحاجة بشكل مختلف**».

ساعتها قال:

«**مش مهم إن أنا أقولها بشكل مختلف، مهم إني مابقاش قاصد أقولها بشكل مختلف**».

عشان هي تختم المشهد بجمله تلخّص كل حاجة وتقول له:
«الحب مش أمنية يا حسن، الأمنية إن الحب دا يدوم».

* * *

خلينا متفقين إن الحب بيحصل وبيكبر من غير تخطيط؛ لأن الحب زي المطر ملهوش معاد سابق، ليه علامات آه بس بتحب وتتحب في لحظة.. الفكرة عمرها ما كانت في ازاي هنحب بعض.. عشان الحب رزق.. حاجة بتاعة ربنا.. تقسيمه وحسبه إلهية مفيهاش حيلة.. محدش بياخد قلب حد بالعافية.. الفكرة إن ازاي فعلًا الحب ده يدوم.. وده هياخدنا لنقطة مهمة.. هي إننا لازم نبقى ماشيين في اتجاه.. ومختارين طريق.. ومرتبين أولوياتنا.. وعارفين إحنا محتاجين إيه بالظبط، ولازم نتعب قد إيه عشان نبقى في بيت واحد.

فيه حكمة بتقول: (**البدايات للجميع.. والثبات للصادقين**).

الحب على قد ما هو سهل يبدأ على قد ما هو صعب يستمر، خلينا نقول إن كل علاقة في الدنيا عبارة عن استثمار.. اتنين بيحوّشوا في بعض وقتهم ومجهودهم وأحلامهم.. ساندين على بعض، وماشيين في مواجهة أي حاجة.. كل واحد بيفكر في التاني قبل ما يفكر في نفسه.. الطبيعي إننا هنيجي في وقت ننتقل من مرحلة الوعود لمرحلة التنفيذ.. لازم العلاقة تاخد شكل رسمي.

وإلا يبقى إيه الفايدة من الكلام والوعود والأحلام العريضة دي كلها؟! مانتماينفعش تطلّعني سابع سما.. غير وانت واثق إنك تقدر ترجّعني الأرض بسلام.. مش هقع وتتهد كل أسقف العشم اللي بنيتها في خيالي! الحب عمره ما كان كلام وخلاص.. الحب بيبدأ آه بكلمة «بحبك»، بس بيستمر بالفعل اللي بيأكد الكلمة دي!

واسمحوا لي أفكّركم تاني بمشهد أحمد زكي في فيلم «**اضحك الصورة تطلع حلوة**» وهو بيقول: «كلمة بحبك عقد.. النظرة عقد.. اللمسة عقد.. الوعد بالجواز ده أكبر عقد».

وده حقيقي جدًّا؛ لأن كل وعد انت بتقوله.. الطرف التاني بيرتب حياته عليه.. وبيثق فيك وبيراهن عليك.. وبيبقي على أتم استعداد إنه يحط البيض كله في سلة واحدة بس لأنه مصدقك.. ومتأكد من جواه إنك مش هتخذله.. ودي مسئولية كبيرة محتاجة حد يكون بيحب بضمير.. حد يكون عنده القدر الكافي من النبل عشان يلتزم بكل حرف قاله، وكل عقد شفهي مضاه.. لأن الخسارة وقتها بتبقى خسارة الثقة والأمل والعمر اللي ضاع وانت مستني الوعود والأماني إنها تتحقق.. يا ريتني أقدر أخلي كل واحد قبل ما يقول كلمة «بحبك» يمضي عقد عشان يبقى عارف إن فيه شرط جزائي اسمه «داين تدان»، هيدفعه وقت ما يفكر ينط من المركب، ويتخلى عن الشخص اللي استثمر فيه كل

ما يملك من حب ومشاعر.

كلنا كنا وما زلنا وهنفضل في رحلة البحث عن الأمان، والجزئية دي متعلقة بالراجل أكتر مما هي متعلقة بالست.

خلينا نقول إن آه كل ست ليها دخلة زي ما بيقولوا.. بس الـ **Master key** بتاع كل الستات هو الأمان.

الست لو اتطمنت هتكون مستعدة إنها تروح آخر العالم عشان تبقى مع الشخص اللي بتحبه، إنما لو خافت هتبقى ضعيفة، والست لما بتضعف الراجل بيخسر جيشه الوحيد.

نقطة ضعف الست الوحيدة هي الراجل.. هي مخلوق قوي جدًّا طول ما هو لوحده، أول ما بيحبوا تلاقي اللي في وسط زمايلها في الشغل «راجل» بقت ست الستات كلهم مع اللي بتحبه، وتلاقي اللي بتؤمر وتنهي وتزعق في الشركة أستاذة في الحنية والطبطبة في البيت.. وده لأنهم فعلًا بيوت بتشيل بيوت، سبحان الله اللي خلقهم بكل هذا القدر من الحنية والقوة في وقت واحد.

الراجل دور البرد بيجيله يقعّده في السرير أسبوع، وهي بتقوم من عملية الولادة، وبعد أسبوع بتحضّر غدا!

شيء مش منطقي.

كلنا أمهاتنا كانوا بيعملوا العجب قدامنا، وكانوا مصدر دعم وقوة لينا على طول الطريق.. تخيل انت بقى الست اللي بكل هذا الكم الهائل من القدرات الخاصة.. لو اتعصّبت عليها

تعيط.. ولو فرّحتها تعيط.. ولو عملت لها مفاجأة تعيط.. ولو نسيت تعملها مفاجأة تعيط..

قلوبهم مربوطة في عيونهم، ودموعهم سابقة كلامهم.. كتلة مشاعر غير منطقية.. وانت المفروض بتتعامل معاها لازم تتعامل معاها بمنتهى الذكاء، ببساطة شديدة خليك مدرك إنه رغم القوة والصبر والتحمل والحنية، وكل هذه الصفات الملائكية الجميلة، فهي ممكن تنفجر في أي لحظة، وجهّز نفسك طول الوقت إنك تحتوي الانفجار ده، وتسيطر عليه عشان فيه جانب مجنون لكنه بيعمل طعم لكل حاجة.

إزاي بقى تطمّنها؟!

الست بتتطمن لما بتلاقي الراجل قد كلامه، لما بيقول وبيعمل، بيوعد ويوفي؛ لأن بيكون فيه مساحة ثقة، ثقة في إنك تقدر تساعدها وتسعدها وتحميها وتاخد بالك منها وتراعي ربنا فيها ومتخذلهاش وماتكسفهاش قدام حد، وتاخد بالك من شكلها وتحافظ على كرامتها، وتدخل البيت من بابه، وتبقى ليك قدام العالم كله، ووقتها هتكون فكيت الشفرة.

أول ما هتفك الشفرة دي وتطمن الست اللي انت بتحبها.. فإنت اتفتحت لك طاقة القدر، ودخلت الجنة اللي على الأرض وأبشر.. أنت الآن لديك جيش لا يُهزم.. لأن لديك امرأة تحبك.

****

السنبلة الرابعة
الجذور الثابتة



الذكريات

تحويشة العمر اللي بنعملها ونحطها في حصالة حبنا.

الرصيد الحقيقي من كل شيء حسيناه، من كل ضحكة من القلب ودمعة فرحة، من كل حاجة عملناها سوا، عن كل تذاكر السينما اللي احتفظنا بيها، وكل محطات المترو اللي عدّيناها واحنا شابكين إيدينا في إيد بعض، عن كل الحاجات اللي لما بنفتكرها بنسرح ونبتسم ابتسامة بترجعنا بالزمن، لدرجة إنك بتحس إنها بتحصل حالًا.

عن كل الحاجات اللي بتيجي في بالك لما بتسمع أغنية أو بتشمّ برفان أو تعدي على مكان كنتوا بتروحوه.. الصور والفيديوهات والستوريز المليانة بمواقف عمرها ما هتتنسى.. كل مرة تعبت فيها، وكل خروجة حلوة، الوقت سرقكوا من بعض فيها، وكان لازم هي تمشي عشان اتأخرت.

قد إيه الحاجات دي بتبقى حلوة وانت بتعيشها، وحلوة وانت بتفتكرها، وحلوة وانت بتحاول تكررها تاني.

«لدى كل منا الآلة الزمنية الخاصة به، البعض يعيدنا للوراء وهي الذكريات، والبعض يأخذنا للمستقبل وهي الأحلام».

جيرمي آيرونز

الذكريات هي الرصيد اللي بنرجع نبص عليه وقت ما بيحصل خلاف كبير.

واحد صاحبي حكالي مرة عن اتنين كانوا واقفين على الطلاق، وخلاص المأذون جه، والانفصال هيتم، لحد ما الراجل قال لمراته: طب انتي مش فاكرالي أي حاجة حلوة؟!، قالت له: لا، قالها: ولا حتى يوم وفاة أبوكي؟! ومحدش من القاعدين كان فاهم هما بيتكلموا عن إيه، ولا حد يعرف هو عمل إيه يوم وفاة أبوها، بس الست راحت معيطة، ولمّت هدومها، ورجعت البيت معاه!

علاقتنا ببعض من يوم ما بتبتدي وطول ما هي مستمرة بتبقى عبارة عن شريط بيعدي في خيالك.

طول الوقت وكأنه فيلم بيتعاد

«زراعة القلب تشفي بعض من عشقوا..
وما لقلبي إذا أحببتُ جرّاحُ»

نزار قباني

أمي كانت بتحكي لي مرة إن بعد وفاة جدتي بكام شهر، كانت راكبة عربيتها، وفجأة سمعت في الراديو أغنية «دار يا دار» للفنان وديع الصافي.. وقتها افتكرت البيت القديم ولمة العيلة وذكريات طفولتها، وكل المواقف اللي عاشتها مع جدتي وجدي.. وهنا أمي مقدرتش تتمالك نفسها من العياط لدرجة إنها ركنت على جنب.. وفرّغت كل طاقتها في وصلة بكاء هستيرية.

الأزمة إن الذكريات ممكن تطلع لك في أي وقت ومن أي حتة.. إنت يومك ينتهي لمجرد إنك شفت شخص شبه حد كنت بتحبه زمان.. ينتهي لمجرد إنك جه قدامك فيلم شفتوه سوا.. أو عينيك جت على كتاب جالك هدية، إنت متخيل الذكريات ممكن تستحوذ على الإنسان قد إيه؟! وقد إيه إحنا ضعاف قدام ذكرياتنا!

في مرة كنت مسافر الإمارات، ودي كانت أول مرة أسافر بعد الجواز، أبويا ومراتي جم معايا عشان يوصّلوني للمطار، قعدنا ندردش في الطريق، والكلام جاب بعضه، خصوصًا إن أبويا كان بيسافر كتير، ولفّ العالم كله سياحة وشغل، فسألته: هي ماما كانت بتعمل إيه لما كنت بتسافر؟

قال لي: كنت طول مانا مسافر كنت بحس إنها مطفية، وكلامها على القدّ في كل جواباتها، بتقولي: خليك، ومتنزلش، وشوف شغلك، بس قلبها مفطور من العياط والشوق، الراجل مننا بيحس حتى لو بينه وبين اللي بيحبها بلاد يا ابني!

حتى انا وانا مسافر، أول ما ركبت الأسانسير لقيت مراتي بتقول لي بنبرة فيها وجع وتظاهر بالقوة في نفس الوقت: «اوعى تنساني»، رغم إنها عارفة إني راجع بعد أسبوع، قالت لي: «صوّر لي كل حاجة بتعملها، عايزة أحس إني معاك، متسبنيش لوحدي».

ضحكت وأنا مش مستوعب إزاي الستات بالقوة وبالهشاشة دي في نفس الوقت!

بالنسبة لأي حد قلبه مكسور، الذكريات عبارة عن وجع خام.. نسبة الألم ١٠٠٪.

خصوصًا إن الذكريات هي السكينة الباردة اللي بيدبحك بيها الحنين بعد كده؛ لأن اتجاه الزمن رايح بس، مفيش حاجة بترجع، لذلك لما تعيش لحظة حلوة اشبع منها، عشْها بضمير، واعرف إن إحساسك باللحظة أهم بكتير من الصورة اللي انت مهتم تاخدها.

اللحظة اللي انت بتعيشها وانت سايب موبايلك، ومستمتع بيها بتتوثق في خيالك للأبد، الكاميرا يجوز هتصور اللقطة.. بس عمرها ما هتحتفظ بالمشاعر.. المشاعر هتفضل جواك انت.. عشان للقلب ذاكرة خاصة بيه، وده للأسف مش مجاز.. دي حقيقة!

فيه دراسات كتير أثبتت الكلام ده..

أثبتت إن القلب ليه ذاكرة خلوية يقدر عن طريقها يحتفظ بمشاعره ناحية الحاجات اللي بيحبها.. مش بس كده؛ دي الذكريات ممكن تتنقل من شخص للتاني عن طريق عمليات زراعة القلب، ومن أشهر الحكايات اللي حصلت بعيدًا عن الأفلام وهوس صناع السينما بالنوعية دي من القصص، حكاية واحدة اسمها «كلير سيلڤيا»، والكلام ده حصل في أواخر ثمانينيات القرن الماضي.

كلير كان عندها في الوقت ده ٤٧ سنة، وكانت بتشتغل مدرّسة، وكان من المفترض إنها في انتظار عملية زراعة قلب ورئة

بشكل كامل.. تشاء الأقدار إن يتوفى شاب اسمه «تيم لاميراند» في حادثة، ويتبرعوا بأعضائه لمستشفى اسمها نيو هيڤن.

كون العملية الأولى من نوعها في نيو إنجلاند خلى الصحافة والإعلام مهتمين جدًّا بالموضوع.. خصوصًا إن وضع سيلڤيا اتدهور، وكانت على وشك الموت، بس بعد ما الحالة استقرت، وأثناء خروجها من المستشفي سألها واحد من الصحفيين اللي كانوا موجودين في استقبالها عن شعورها بعد ما عملت العملية.. وكانت الإجابة إنها هتموت وتشرب بيرة.. طبعًا الإجابة كانت صادمة لكل الموجودين.. حتى سيلڤيا نفسها اتصدمت من الإجابة.. خصوصًا إنها عمرها ما شربت بيرة، ولا تعرف طعمها أصلًا، وقالت كمان إنها متعرفش سبب رغبتها دي هي حست إنها عايزه تشرب وخلاص.

ده غير طبعًا إنها بعد كده بدأت تحب أكلات هي مكانتش بتحبها زي الـ«ناجتس»، وكانت بتراودها أحلام عن الولد اللي اتبرع لها بقلبه!

الغريب إنها لما راحت لعيلة تيم، واتكلمت معاهم، قالوا لها إنه يوم الحادثة كان معاه وجبة «ناجتس»، كل دي أسباب كانت كفيلة إنها تحكي قصتها في كتاب:

«Change of a heart» سنة ١٩٩٧

بليغ حمدي كتب ولحّن أغنية «بنلف» في رثاء صديق عمره

ورفيق كفاحه ونجاحه عبد الحليم حافظ بليغ حمدي كتب في مطلع الأغنية:

بنلف نلف نلف نلف

والسنين بتلف تلف تلف

وألم بيزيد وجراح بتخف

بنودع ربيع ونستقبل ربيع

يأمرنا القدر

تنطفي الشموع

ويغيب القمر..

ونصبح ذكريات.. مجرد ذكريات.

في الآخر إحنا عبارة عن مشاعر متجسدة في لحم ودم، أحداث وذكريات وتفاصيل مبهجة ومحزنة.

أرشيف من اللحظات.. اللي فيها اللقا والوداع والمحبة والعتاب.. العيش والملح والضحك اللي من القلب.. السفريات والبيات وحياتنا سوا والبيوت اللي كان لينا فيها وليها فينا.. لّمتنا عشان نذاكر، ولمتنا على القهوة.. خناقاتنا اللي انتهت بـ«أنا آسف».. والعشرة اللي مبتهونش.. وأيامنا الحلوة.. اللي هنفضل فاكرينها طول ما إحنا عايشين.

نقطة ومن أول العمر.

* * *

السنبلة الخامسة

العتاب



«حلو العتاب»

العتاب محبة.. عشان إنت عمرك ما هتعاتب حد مش فارق معاك.. عمرك ما هتراجع تصرفات حد مش مهم بالنسبة لك.. أبسط ما فيها هتمسحه من حياتك وهتعتزل ما يؤذيك من غير ما تبص وراك تاني، ووقتها هتعرف تاخد موقف بالغياب والاجتناب مش بالعتاب.

العتاب اتعمل للناس اللي تعز علينا، الناس اللي قاطعة في قلوبنا تذاكر مجانية مدى الحياة.. غالبًا كلمة عتاب بييجي وراها كلمة «محبة»، وانت لما بتعاتب حد بتعاتبه عشان نفسك الأول.. عشان تبقى صافي من ناحيته، وتعرف تتعامل معاه.. بتعاتبه؛ لأنك مكنتش متوقع منه هو بالذات إنه يعمل تصرّف يضايقك.. أو بتبقى مستني منه يعاملك بطريقة معينة إنت مش لاقيها.. العتاب هو إنك تطلب كل اللي انت محتاجه أو تعترض على كل اللي بيضايقك.. عشان انت بتحب الشخص ده، وشايف إنه مينفعش يعمل معاك كده!

سواء بقى كان صاحب.. أو حبيب.. أو حد من أهلك.. أي حد ليه في قلبك مكان باسمه.. يندرج تحت قايمة الناس اللي بتتعاتب.

وأهمية العتاب إنه دايمًا بيسيب باب العلاقة متوارب.

في مرة كنت بدردش مع واحد صاحبي، وبحكي له عن موقف حصل لي مع حد، واتضايقت منه بس من غير ما ألفت نظره، وفضلت أسطّح علاقتي بيه لحد ما انتهت.. يومها هو قال لي حاجة مهمة جدًّا، قال لي:

«أنا مبحبش الناس اللي بتزعل مع نفسها دي».

قولت له: تقصد إيه؟ **فقال لي:**

«المواقف اللي بتضايقنا وبنعديها دي بتبقى مع الناس اللي بنقابلهم مرة واحدة في حياتنا.. الناس اللي على الهامش.. الناس اللي بتدخل حياتنا واحنا عارفين إنهم مجرد «فترة».. إنما لو بتحب حد ومتضايق منه.. عاتبه».

بليغ حمدي كانت بتجمعه بعبد الحليم صداقة قوية جدًّا، بعيدًا عن شغلهم سوا، وكمّ الألحان العبقرية اللي اشتغلوها مع بعض، والنجاحات الكبيرة اللي حققوها، والتاريخ بيأكد إن بليغ حمدي واحد من الناس اللي ساهموا بشكل كبير جدًّا في صناعة نجاح عبد الحليم حافظ، كتب لعبد الحليم مرة في إحدى رسائل العتاب:

عزيزي عبد الحليم/

تحية طيبة..

أودّ فقط لفت انتباهك إلى أن تعليقك الساحر اليوم ونحن في

السهرة قد جرحني جرحًا أليمًا، برجاء عدم التعامل مع مشاعري بهذا الاستخفاف والاستهانة بحب عظيم لا أظن أنه يمكنك أن تفهمه، برجاء عدم الاتصال بي بغرض الاعتذار الأيام التالية؛ حتى أصفو لك تمامًا، وأستطيع الكلام معك ثانيةً.

خالص مودتي

بليغ حمدي

تخيل إنت ممكن تعليق ساخر قلته بهزار يجرح حد لهذه الدرجة، وممكن جدًّا لولا الغلاوة يسبب شرخ في العلاقة لا يمكن يتلمّ أبدًا، علاقات كتير كبيرة بتنتهي بسبب تفاصيل صغيرة زي دي، ممكن يكون سبب وجع الكلمة نفسها إنها جت من القريب؛ لأن الغريب كده كده هتعرف تاخد حقك منه، إنما لما الأذى بييجي من حد إنت بتحبه.. وقتها مبتبقاش عارف تدافع عن نفسك وكرامتك.. لأنك لما هترد الأذى للي بتحبه هتبقى بتأذي نفسك برضه، العتاب اتعمل عشان يعمل ريفريش لعلاقتنا ببعض، العتاب بيبقى إعادة تذكير بالرصيد اللي بينا وبين بعض من مواقف وذكريات وتفاصيل تشاركنا فيها مع بعض.

الشاعر أيمن بهجت قمر كتب أغنية من أجمل الأغاني اللي اتعملت عن العتاب، وكان بيقول فيها:

«البيت وناسه والخمسة ستة اللي احنا منهم.. دول اللي لو نحتاج لهم يدّونا عينهم..

إحنا اللي غمّسنا فـ طبق واحد زمان.. ستر وغطا على بعض حاسين بالأمان

يا ابني العتاب واللوم ده من باب المحبة».

وفيه كوبليه من أعظم ما غنّت أم كلثوم بيقول:

«أكتر من مرة عاتبتك وإديتلك وقت تفكر..

كان قلبي كبير بيسامحك إنما كان جرحك أكبر».

وده بقى «فخ» ممكن ينهي علاقتك بالشخص مهما كنت بتحبه.. لأنك هتيجي في وقت تحس إنك بتعاتبه دايمًا على نفس الغلطة.. بتلفت نظره وبتشاور على الحتة اللي بتوجعك.. وهو برضو مصمم يدوس عليها.. دون الالتفات لحجم الوجع اللي انت فيه.. للأسف هو مبيبقاش قادر يفهم.. إن انت عمال تختاره.. وتسحب من رصيد كرامتك.. وتيجي على نفسك.. وإن انت زي أي شمعة منورة دلوقتي هتيجي في يوم وتخلص.. ووقتها غصب عنك وعنه هتاخدوا جنب من بعض.. والعلاقة هتفضل تتسطّح لحد ما تنتهي.. ماهو انت لازم برضو تحس إن اللي انت بتعاتبه ده شخص باقي عليك.. شخص بيختارك زي مانت بتختاره.. شخص حاطّك في أولوياته.. وعامل حسابك في قلبه، مفيش حد فينا مجاش عليه وقت وأنهى علاقته بحد كان بيحبه وكلامهم اتحول من ودّي لرسمي.. ومن يومي لفترات.. لحد ما كل حبال الود اتقطعت.. أصلك هتعمل إيه يعني؟!

هتشتري خاطر اللي قدامك مرة واتنين وتلاتة، في الرابعة لازم تختار كرامتك، وإلا يبقى انت اللي تستاهل كل اللي هيحصل لك بعد كده!

أما الأزمة إن محدش بيبقى شايف نفسه غلطان في الطرفين..

اللي بيعاتب شايف إن فيه حاجة مضايقاه لازم يتكلم فيها، واللي بيتعاتب شايف إن اللي بيحبه لازم يتحمله ويديله مساحته، وميبقاش بيقف على كل حاجة، وطبعًا إنتم عارفين لما كل واحد بيبقى شايف إنه صح إيه اللي بيحصل.

أنا طول عمري بتعاطف مع الناس اللي بتعاتب، بس فعلًا العتاب ليه حدود، وآفة العتاب الوحيدة إنه مينفعش يبقى على كل حاجة، مينفعش يبقى فيه طرف قاعد يتصيّد أخطاء الطرف التاني عشان يعاتبه عليها.

كتر العتاب بيعمل حالة زهق، وبيخلي العلاقة تمشي في اتجاه سلبي هياخدها لمنحنى خطر جدًّا، وهو إنك تتجنب الاحتكاك بالشخص ده؛ لأنه كل ما بيشوفك بيعاتبك.

زي الأسئلة المزيفة اللي من نوعية:

(إنت مبتسألش ليه؟! هو لازم أنا اللي أكلمك كل مرة؟ إنت كنت أونلاين ومردتش عليا.. إنت معقول يعني مبصتش في موبايلك كل ده؟ إنت سايبني من الصبح.. إنت خرجت، معاهم من غير ما تقول لي.. إنت نزلت من غير ما تسيب لي رسالة...

إنت... إنت...)

طبيعي الطرف اللي انت عمال تعاتب فيه على كل كبيرة وصغيرة ده يتعب.. لازم وانت بتعاتب تبقى مقدر ظروف الناس، ومراعي إن كل واحد ليه مساحة خاصة بيه هو بس.. وإن الحب والصحوبية مش خنقة.. وإننا مش لازم نبقى مع بعض ٢٤ ساعة، وإن بييجي علينا أوقات طاقاتنا بتخلص وبنبقى عايزين ناخد جنب من كل حاجة.

دورك كإنسان محب وذكي إنك تراعي ده، مش تستمر في مسلسل العتاب.. طبعًا أنا بتكلم عن الظروف الحقيقية.. مش الإهمال المتعمد.. ولا الناس اللي بتتجاهل الرسايل والمكالمات عن قصد.. بس احنا كلنا بيجيلنا وقت بنفقد فيه القدرة على التواجد، وعلى فتح المواضيع..

بنفقد ملكة السؤال عن اللي بنحبهم لأسباب قهرية حقيقية.. فيه ناس للأسف الشديد جدًّا.. بيفشلوا في إنهم يكونوا أشخاص اجتماعيين.. وملهومش في الشات والرغي في التليفون بالساعات.. ناس أصلا بيزقّوا أيامهم بالعافية.. مش عايزين يحسوا إنهم عبء على حد ولا عايزين دوشة.. اللي يحبهم يحبهم زي ما هم.. هما مش هيجرحوك بالكلام ولا هيسببولك أذى نفسي من أي نوع.. دول أصلًا عايشين بس عندهم خلل في التواصل.. قلوبهم بتسرب شحن.. متستناش منهم إنهم يبدأوا

بالسؤال.. أو يفتحوا مواضيع.. أو يستحملوا مكالمة طويلة.. وأحسن حل عشان متتعبش روحك.. لو بتحبهم حبهم زي ما هما.. عشان متفضلش طول عمرك بين العتاب والمبررات.

ومن سنة النبي عليه الصلاة والسلام إنه كان لين ورؤوف بالناس في العتاب، فمكانش بيعاتب حد غير في دينه.. كمان كان عارف إن العتاب ممكن يؤدي للغضب، ومن هنا ممكن تبدأ نهاية كل حاجة، فقد جاء من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1].

يعني كمان من المفروض لما تلاقي حد متضايق، والكلام بينكم هيدخل في منعطفات تزعلكم من بعض، تاخد جنب انت لحد ما الطرف التاني يهدأ عشان ممكن كلمة واحدة تهدّ اللي بقالكم سنين بتبنوا فيه إنتوا الاتنين.

خلاصة القول إنك لو هتعاتب حد لازم تبقى فاهم:

أولًا: ماينفعش تعاتب غير الناس اللي تلزمك وباقي عليهم، وماينفعش متعاتبش الناس اللي بتحبهم مادام فيه ضرورة لده؛ لأنك في الآخر ممكن تنفجر من تراكمات إنت السبب فيها مش الطرف الآخر.

ثانيًا: بلاش كل ما تشوف حد تعاتبه.

ثالثًا: لازم تبقى مراعي ظروف الناس، وحاطط نفسك

---

(١) ذكره الإمام النووي في باب الصبر.

مكان كل واحد إنت بتعاتبه على حاجة.. وتعرف كويس إن قدرته على التحمل غير قدرتك.. يعني اللي انت شايفه ظرف عادي.. ممكن يبقى بالنسباله هو ظرف قهري.

رابعًا: اختار الوقت المناسب لفتح مواضيع العتاب؛ لأنها تُعتبر أسرار.. يعني مينفعش تعاتب حد بتحبه على الملأ.

خامسًا وأخيرًا: خليك خفيف وسهل في التعامل وقت ما يعتذر.. عشان هو لو مش بيحبك عمره ما هيعتذر مهما كان غلطان.

* * *

السنبلة السادسة
السنبلة الطيبة



«بالكلام الحلو ترجع لي ابتسامتي»

Tell a girl she is beautiful and she will believe it for a moment

Tell a girl she is Ugly and she will Believe it for a lifetime

جدتي كانت ست بسيطة أوي، ريفية ومدخلتش مدارس، بس ساعات بتتعلم في مدرسة الحياة اللي عمرك ما بتتعلمه في أي مدرسة تانية، في مدرسة التجارب والتعاملات والناس والشغل والطحن تحت رحايا الأيام.

اللي ما أخدش القرار ونزل بحر الدنيا هيفضل مهما اتعلم ساذج.

جدتي اللي كانت بتصحى على إذاعة القرآن الكريم، ومتعرفش غير المسلسل العربي اللي كان بييجي الساعة ٧ إلا ربع.. اللي كانت لما الساعة تبقى ٩ تنزل تنام وتقولي: «**النوم أصلح من كل حاجة إلا الصلاة**».

الحياة ما قبل التليفونات والرسايل، لما عمي سافر السعودية قعدنا كلنا نسمع أخباره في «شريط» مبعوت مع حد راجع من هناك.

كان ده الـvoice note الوحيد أيامها، وعمري ما هنسي لما أغنية «يا ترى» بتاعة بهاء سلطان اللي نزلت، وكانت مكسرة الدنيا، وأول ما جدتي سمعتها افتكرت عمي وقعدت تعيط، الحياة.. كانت أبسط وأطعم وأدفى.

لمة عمّاتي على طبلية الخبيز قدام الفرن البلدي، واختراع «الأبورة» تقدروا تقولوا عليه «وافلز الغلابة»، عجينة بتبقى أتخن من العيش العادي بتتحط في الفرن، وتبقى بحجم كف الإيد أو أكبر شوية، وتطلع وتتفتح ويتحط فيها سمن وسكر.. بعض البلاد كانت بتقول عليها «حنينة» مش عارف ليه بس يمكن عشان بتتعمل بحب.. أجواء عملية الخبز كان كلها ضحك، وتفتيش في صناديق الذكريات والأيام الحلوة.

أنا عمري ما هتخلى عن هويتي الأصلية، وكوني شخص اتربيت وعشت سنيني الأولي في الأرياف، لحد ما الدنيا خدتني زي ما بيقولوا من مدرستي للجامعة، ومن الترعة للأسفلت، لما بروح هناك من وقت للتاني بفتكر نزار قباني في القصيدة الدمشقية وهو بيقول:

هنا جذوري هنا قلبي هنا لغتي

وكيف أوضِح هل في العشق إيضاحُ؟

هناك كل حاجة بتتعمل بشكل تاني، جناين الموالح ومزارع العنب.. شكل غيطان القمح وهي بتتدرج من الأخضر للأصفر

للدهبي.. ريحة الهوا اللي هناك وبساطة الناس وكلمة «اتفضل» من الغريب قبل القريب، الميه اللي من «القلة الفخار» مش الفلتر.

البيت الـ٥ أدوار أبو جنينة ومعاه حوش واسع، مش الشقق الـ١٢٠ متر.. مدرسة عبد الغفار فرحات مش المدارس الـ international، كل حاجة كان ليها طعم تاني.. أنا مش بقارن طبعًا، بس فرق الإحساس بالأشياء وقيمتها كان أكبر بكتير، الحقيقة بقى والشيء المميز في الحكاية إن جدتي كانت بتمتلك موهبة عمري ما صادفت زيها في حياتي.

كان عندها قدرة عجيبة إنها تخلي الكلام العادي حلو.. بتعمل من تراب القول دهب.. مكانتش بتناديني غير بـ«**عقل ستك**»، وكل كلامها كان بنفس غرابة وعمق وحلاوة التعبير ده.

كنت لما أجيب لبس العيد وأخبط على أوضتها ليلة العيد عشان تشوفه كانت تقولي: «**يعجب الباشا**».

لما كانت تعجب بأخلاق حد تقول عليه ده «أمير».

لما يجيلنا حد تقول: «**حصلت البركة.. ده احنا زارنا النبي**».

لكن هيفضل أجمل تعبير سمعته منها كان لما اتضربْت في الكُتاب، وقلت لها مش عايز أروح تاني، قالت لي: «**يا عبيط دي عصاية الفقي من الجنة**».

ومع ذلك راحت قالت للشيخ ميضربنيش تاني.. بس كان عندها القدرة إنها تحلّي أي حاجة في عيني، وتحسسني بثقتي في

نفسي، وتخليني أحب شكلي وأتصالح مع كل الحاجات اللي مكنتش ببقى راضي عنها.. لدرجة إني لما عِدت سنة في الكلية.. أختي قالت لها: «**تيتا محمد سقط**»..

قالت لها: «**اخرسي أوعي تقولي كده على أخوكي**»، ومن كتر ما هي بتحبني ومؤمنة بيا كانت فاكراها بتهزر.. ولما عرفت الخبر من بابا قالت لي: اللي فات مات يا حبيبي.. المهم اللي جاي.. الوحيدة اللي محسستنيش بالفشل، ولا اتحاملت عليا، ولا زوّدت همي همّ.. جدتي كانت أهم داعم معنوي ليا في حياتي لحد يوم وفاتها..

انا ابن الكلمة.

كل كلمة بتتقالي بتفرق معايا.

كل كلمة حلوة بتديني أمل، وبتحسسني بنفسي، وبتنور لي طريقي، إنما أي كلمه فيها طاقة سلبية، بحس انها بتطفي فيا حاجة وتنقص مني حتة.

أول ما ابتديت أشتغل زمان.. اشتريت ساعة، حد قالي وريني الساعة دي كده.. وريتهاله ضحك عليا وقالي: دي من اللي بتطلع في البخت ولا إيه؟!

بعد ماكانت الساعة عاجباني ومقتنع بيها رميتها في الدرج، وملبستهاش تاني، وقتها كنت لسه مش فاهم إن طالما الحاجة حلوة في عنيا مش مهم تعجب حد.. زمان واحد صاحبي كان بيحب واحدة أوي وهيتقدم لها خلاص.

وحد من صحابنا شاف صورتهم سوا قاله: مامتك دي؟! هو مكانش يعرف طبعًا، ومكنش يقصد يجرح مشاعره، وكلنا خدنا الموضوع بهزار وقتها وضحكنا، بس هو اعترف لي بعد كده بكام سنة إنه سابها بسبب الموقف ده، وإنه ندمان دلوقتي جدًّا، وبيتمنى يرجع لها، بس للأسف معادش ينفع.. الدنيا مليانة مواقف زي دي.

وناس غيّرت في شكلها عشان كلمة، وناس خست ١٢٠ كيلو عشان كلمة، وناس يكاد يكون سر طموحهم وإنهم مكفيين على أحلامهم والجري وراها عشان كلمة، معظم الصدمات بتبقى عبارة عن كلمة سمعتها من حد مكنتش تتوقع أبدًا إنه يقولها.

والأهم من الكلمة توقيتها، يعني مينفعش تروح تعتذر بعد ما يكون خلاص اعتذارك مش فارق، هيبقى زيك زي اللي عاش طول عمره في خلافات مع واحد، وبعد ما مات قال ده أنا بحبه والله.

الكلام اللي بيتقال بعد ما أوانه يفوت ده بيوجع أكتر عشان بتبقى خلاص صلاحيته انتهت.. مابتاخدش منه غير إنه بيفتح في صفحات قديمة انت ما صدقت تقفلها!

الكلام الحلو أكتر حاجة بتعمله معنى إنه عبارة عن لغة خاصة جدًّا بين طرفي العلاقة، يعني مثلاً سارة بنت توني ستارك صاحب شخصية «**أيرون مان**» كانت بتقوله أثناء ما هو بيحطها

في السرير علشان تنام خلال أحداث آخر فيلم من سلسلة أفلام (The Avengers):

I love you 3000

الجملة كانت مليانة بالبراءة والتعبير المستخدم نفسه عشان طالع من طفلة ادى الجملة بُعد إنساني عميق جدًّا، لدرجة إن الجملة دي لفّت العالم، وخلت المهتمين بمتابعة عالم مارڤل يدوروا على السر اللي ورا الجملة دي لحد ما عملوا إحصائية عن مجموع عدد دقايق السلسلة كلها، فكان عددها ٢٨٦٨، وبعد إضافة أحدث أفلام عالم مارڤيل اللي هو (Spiderman far from home) كان المجموع النهائي ٣٠٠٠ دقيقة.. معظمهم قال إن استخدام الرقم ده كان مقصود، خصوصًا إن مخرجي النوعية دي من الأفلام بيهتموا دايمًا بأدق التفاصيل.

ومن اللفتات الإنسانية العظيمة جدًّا في اليابان والصين ودول شرق آسيا زي تايوان وكوريا وسنغافورة إنك مستحيل تلاقي رقم ٤ مكتوب على باب أي أوضة في أي أوتيل أو مستشفى، وده لأن نطق رقم ٤ مشابه لدرجة التطابق لنطق كلمة ☒ shi واللي معناها (موت)، وبيعتبروا إن ده نذير شؤم، وبيتجنبوا استخدام الكلمة دي تماماً.

والست بالذات بيفرق معاها موضوع الكلام الحلو ده؛ لأن هما عندهم عين تالتة بتشوف التفاصيل الصغيرة، وبتركز في الكلام

اللي مسمعتهوش أكتر ما بتركز في الكلام اللي سمعته، علاقات كتير انتهت بسبب كلام كان المفروض يتقال بس متقالش.

كلمة حلوة كانت ممكن تنهي خلاف كبير لازم الراجل مننا يبقى بيعرف يقول: «آسف» ويعرف يقول: «شكرًا»، ويعرف يعبر عن حبه بالكلام زي الفعل، الحب أفعال آه، بس الكلام الحلو في العلاقة زي الملح في الأكل، عشان فيه ناس بتستنى الكلام زي ما بتستنى الفعل.. فيه ناس بتستنى الـmorning text والمسدچ اللي في نص اليوم.. ناس بتتعب أوي عشان اللي بيحبوهم ومش مستنيين فعلًا غير كلمة شكر، أنا مقدر جدًّا إن فيه رجالة مبتعرفش تعبّر.

في رجالة من نوعية **خالد صالح في فيلم «ثُمن دستة أشرار»**، وهو رايح يصالح حبيبته وشايل بوكيه الورد وبيقول: «**أنا حاسس إني نيلة أوي بالبتاع اللي انا شايله ده**».

فيه رجالة كلامهم قليل، والكلمة بتطلع منهم بالعافية، ودول طبعًا اللي الكلمة منهم بعشرة؛ لأنها بتبقى غير متوقعة ومش مستهلكة، والطرف التاني بيبقى هيموت ويسمعها.. فيه كام واحد وواحدة في الدنيا اختلفوا واتخانقوا واتقابلوا، فرجعوا لبعض تاني عشان كلمة «وحشتيني».

الكلام الحلو وظيفة الراجل أكتر من الست؛ عشان الست فعلًا ممكن تبقى عايشة على الكلمة الحلوة دي، خلينا نفتكر تاني

عبلة كامل، وهي بتلخص كل احتياجات الست في جملة واحدة من فيلم «**هيستريا**»: «أنا ممكن لا آكل ولا أشرب ولا أنام، بس الراجل اللي أحبه ويحبني يقولي: سلامة رجلك من الوقفة يا وداد».

ووردة في أغنية «**اشتروني**»، وكأنها بتقول اشتروا خاطري.. اعرفوا قيمتي.. حسّوا قد إيه أنا بحبكم بس زعلانة.. كانت في أول الأغنيه بتقول:

«واسألوني وديتي فين الابتسامة»

ورجعت في آخرها وقالت:

«بالكلام الحلو ترجع لي ابتسامتي»..

مفيش في الدنيا حاجة ممكن ترسم الابتسامة على وش حد قدّ الكلمة الحلوة.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ
رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا
مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا
يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾. [سورة إبراهيم: الآية ٢٤-٢٧].

قد إيه ممكن كلمة واحدة بتتقال تغيّر مسار حياة حد، أو تسيب أثر جواه ميروحش مهما عدّت عليه الأيام.

كلنا عندنا الناس اللي بتجرح فينا بكلامهم، وبتقلل من كل اللي بنعمله، ومهما عملنا برضو مش هنعجب، ومش هيشوفوا فينا غير الوحش، عشان دول ناس عايشين يحاربونا نفسيًّا وخلاص.

دول أخطر من المنافقين والكدابين.

محبطين، وممكن يقفلوا اليوم والحياة كلها، لو صادفت الأيام، وقابلت حد منهم اطرده فورًا من حياتك ونهائيًّا.. إوعى تسيبه في تفكيرك أو في أيامك دقيقة واحدة.. ولو مضطر تتعامل معاه فاعتبره بيخرّف.. اتعامل معاه على إنه مش موجود.. هو بيتغذى على انعدام ثقتك في نفسك وتصديقك لكلامه.. إنما طول مانت مش مصدقه وبتاخد كلامه للزبالة مباشرة، فهو عمره ما هينتصر عليك أبدًا.

زمان كانوا بيكتبولنا في كراسات الخط العربي حكم وأمثال عربية، كنت وما زلت وهفضل فاكر مثل منهم بيقول:

«**الكلمة التي لم تنطق بها أنت تملكها.. فإذا نطقتها فهي تملكك**».

يكفي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة.

السنبلة السابعة
البقاء للأجمل



«اوعي تمشي»

الشاعر مصطفى إبراهيم كان بيقول:

فيه حاجات لازم علشان نعرف درجة قوتها بنكسرها
وحاجات لازم علشان نعرف إننا عايزينها بنخسرها

أنا أول كلمة قولتها لمراتي في حياتي كانت «اوعي تمشي».. مكنش فيا حيل لخساير جديدة، ولا كنت عايز أحط نفسي في اختبارات.. كنت عايز أتطمن، أحب وأتحب وأرتاح زي بقية الناس.. كنت طالع من كل اللي فات بأعجوبة، ومش عايز أبص ورايا تاني مهما حصل.

سرّ تعلقي الشديد بيها وشعوري بالامتنان ليها كزوجة وكصديقة ورفيقة حياة وكفاح.. إنها فعلًا عملت اللي مفيش حد قدر يعمله على مدار حياتي.. فكرتني بنزار قباني وهو بيقول:

«أشهدُ ألا امرأة أتقنت اللعبة إلا أنتِ
واحتملت حماقتي عشرة أعوامٍ كما احتملتِ».

بقيت طول الوقت عايز أقولها: إنتي طلعتي لي منين؟! وكنتي مستخبية فين كل الوقت ده؟ وكنت وما زلت وأنا بتكلم عنها مبيجيش في بالي غير أم كلثوم وهي بتقول:

«اللي شوفته قبل ما تشوفك عنيا.. عمر ضايع يحسبوه إزاي

عليا».

حياتي ابتدت من هنا

كل اللي شافني بعدها مكانش بيقولي غير: «حمد الله ع السلامة» كأني كنت في غيوبة وفُقت منها.. وزني استقرّ أخيرًا، بل بالعكس بدأت أزيد تاني بعد ما كنت وصلت ٥١ كيلو.. أقبلت على الحياة، وخرجت من أوضتي.. أوضتي اللي في دماغي.. طلعت من وحدتي، وبقيت قادر أقابل ناس، وأخرج، وأصلّح علاقتي بكل الناس اللي خسرتهم في السكة.

قولّي بقى يا بابا إنت اتعلمت الطبيخ ده إزاي؟!

أولًا الطبيخ ده نَفَس.. شخصية.

وانت أحلى شخصية.

ثانيًا: أنا مكنتش أقدر أفارق أمك ثانية واحدة.

كنت دايمًا في ديلها.

أمك كانت غاوية طبيخ، وأنا كنت غاوي أمك.

فيلم «الموظفون في الأرض»

اللي بيحب حد بيعمله كل حاجة بشكل مختلف وبحب خاص، أحلى أكل أمي كانت بتعمله هي العزومة اللي كانت بتبقى بعد ما «مها» أختي تنزل إجازة من السعودية.

سرّ حلاوة الأكل واختلافه من ست للتانية رغم إن الطريقة واحدة والمقادير تقريبًا هي هي، بيكون في مود الست اللي بتطبخ، ومدى حبها للناس اللي بتعملهم الأكل، وده اللي ممكن

يبقى «النفَس» اللي بيقولوا عليه.

الأسطورة بتقول إن أقرب طريق لقلب الراجل معدته، بس السر كله في درجة حب الست اللي بتطبخ للشخص أولًا، وللطبخ ثانياً؛ لأن الطبخ موهبة، تخيل انت بقى لما تبقى ست موهوبة في حاجة وكمان بتعملها بحب.

كنت بتناقش مع صديق مقرب مني في موضوع «الحنية» عند الستات، وإن الستات في الجيل اللي فات كانوا «مطيباتية»، كانوا بيحبوا البيت والطبخ وتربية الأولاد، وكانوا بيعملوا ده بحب، لكن الجيل الحالي عنده طموحات مختلفة وأفكار مغايرة، وكل ست بقى عندها تطلعات خاصة بكيانها وبنجاحها وإثباتها لنفسها، وده حق مشروع طبعًا، ومن حق كل ست تختار شكل حياتها، وتختار كمان الشخص اللي يقف وراها لحد ما تحقق طموحها.. ده لأن الزمن اختلف.. والحياة بقت أسهل، فالاهتمام بالبيت مبقاش محتاج نفس القدر من الوقت والمجهود بتوع زمان، وأنا أعتقد إنه ممكن تحصل المعجزة والست تقدر توفّق بين البيت والشغل أخيرًا، لكن تظل الست المطيباتية إن وُجِدت في هذا الزمان هي الأقرب إلى قلبي على الإطلاق، وده يمكن اللي خلاني أحب مراتي في المقام الأول.

عشان الميزة اللي ملقيتهاش في أي حد غيرها، واللي خلتني مستعد أعمل أي حاجة عشان خاطرها، وعشان تفضل معايا..

إنها كل مرة كانت بتختارني.. كنت دايمًا في بالها.. لدرجة إنها مرة قامت تعمل سلَطة، وقالت لمامتها بصوت عالي: «فيه طماطم ومحمد وبس».

لخبطت حياتي، دخلت وأنا أبيض وأسود، وفرشت روحي على ذوقها، وبقيت في خلال فترة بسيطة **Colorful**.

عارف لما حد يتولى مسئوليتك يقولك ادخل حياتي بس وملكش دعوة، هي عملت كده بالظبط، كانت وما زالت بتعملي كل حاجة مش كسلًا مني طبعًا، بس كل واحد فينا يحب إنه يبقى محط اهتمام اللي بيحبه.. هي فعلًا كانت مسئولة عن كل حاجة.. عن شكلي وعن مواعيد أكلي ولبسي ومواعيد الأدوية بتاعتي، ومواعيد شغلي، وجدول حفلاتي.. بس لو تفتكروا أنا قلت في الأول فيه حاجات لازم علشان نعرف درجة قوتها بنكسرها.

أو بمعنى أصح عمرك ما هتعرف قوة الرابط اللي بينك وبين اللي بتحبه غير مع أول اختبار.. الناس كانوا فاكرين سفينة تايتنيك قوية جدًّا، لدرجة إن البعض أطلق عليها **«السفينة التي لا تغرق»**، وللأسف مع أول اختبار حقيقي، وبعد ما اصطدمت بأحد الجبال الجليدية غرقت، وبعد فترة من علاقتنا وبعد ما استقريت قلبًا وقالبًا كان طبيعي نختلف أو نتخانق أو تحصل مشكلة صغيرة وتكبر، ووقتها كل واحد يعرف غلاوته، ويشوف الكفة بتاعته تقيلة عند التاني ولا لا.

والموضوع ملوش علاقة بدرجة الحب خالص، كده كده هتحصل مشكلة، محدش هيحب حد قد النبي عليه الصلاة والسلام ما حب السيدة عائشة، ومعظمنا عارف قصة الخلاف الشهير لما جاء أبو بكر يستأذن على الرسول صلى الله عليه وسلم، فسمع السيدة عائشة، وهي رافعه صوتها على صوت النبي، وبعد ما النبي أذن له بالدخول.. دخل وقال: «**يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ -وَتَنَاوَلَهَا- أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ؟!**

فقام النبي وحال بينه وبينها وبعد ما خرج سيدنا أبو بكر النبي قعد يتكلم معاها ويصالحها وقال لها: «**أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ**»، ولما دخل أبو بكر عليه تاني فلقاهم بيضحكوا فقال: «**يَا رَسُولَ اللهِ أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا**»[1].

وطبعًا الله تعالى أعلى وأعلم، الشاهد من القصة إن كل البيوت فيها اللي فيها، وكل العلاقات هتمر بخلافات، والمشاكل جزء من طبيعة الحياة، بل بالعكس ساعات الخلافات اللي بتحصل بتخلّد مشهد في علاقتكم ببعض عمركم ما بتنسوه بعد كده.

فاكر إني في مرة كان عندي حفلة كبيرة في إسكندرية.. وأنا حفلاتي في إسكندرية بحب أنظمها بنفسي، وبيبقى ليها طابع

---

(١) والحديث صحيح فيما رواه أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير، وكذا صححه الألباني في الصحيحة.

خاص عشان علاقتي بأهلها وحبي الشديد لكل ما هو إسكندراني.

في الوقت ده كنت مشغول جدًّا بترتيبات الحفلة، وتقريبًا مابنامش، واللي زوّد الطين بلة إن حصل خلاف مع بعض أصدقائي الموسيقيين، وقررت إني أطلع على المسرح بدون أي خلفيات موسيقية.

الليلة دي فضلت سهران طول الليل، مش شايف غير المسرح والناس قدامي، وكنت مضغوط ومزاجي مش حلو، ورايح جاي في الشقة زي اللي داخل امتحان الكيميا وهو مش مذاكر، كان بقالي يومين تلاتة تقريبًا مبكلمهاش من كتر مانا مشغول، كمان كنت طول الوقت عصبي، وكلامي على القدّ لدرجة إني مكنتش عارف هلبس إيه حتى.

في الوقت ده كان ليا صديق تكفّل هو بموضوع اللبس ده، وبعتلي اللبس لحد المسرح، كل ده وأنا مضغوط ومكهرب كل اللي حواليا، لحد اللحظة اللي طلعت فيها على المسرح، وعملت واحدة من أجمل حفلاتي في إسكندرية، بل من أجمل حفلاتي على العموم، طبعًا خلصت من هنا، وكلمتها، وطمّنتها على الحفلة، وكانت أول مرة ألاقي البوز الجميل.

اتضايقت جدًّا، ولما رجّعت شريط الفترة اللي فاتت لقيت نفسي كنت مقصر في حقها جدًّا، وبناءً عليه رجعت من إسكندرية في نفس اليوم، وتاني يوم الصبح روحت على «كارمن» بتاع

الورد، ودي كانت أول مرة، وطبعًا في المواقف دي الشيكولاتة بيكون ليها مفعول السحر، وكان معايا اللبس اللي حضرت بيه الحفلة، كنا حوالي الساعة ١٢ الضهر.

اتصلت بيها وقلت لها: أنا تحت البيت انزلي؛ إيمانًا بجملة عظيمة كتبها الشاعر بهاء جاهين بتقول:

«**أنا مش هقولك حددي لي ميعاد.. قابليني صدفة وإحنا متخاصمين**».

وما أجمل تلك الصدف والله، الحقيقة إن عمرو دياب له أغنية عظيمة بتتكلم عن المواقف دي منزلتش في ألبوم، بس اتغنت في إحدى الحفلات أغنية أيقونة اسمها «**كان باين من سلامها**».. ختم الأغنيه بكوبليه قال فيه:

«**لا قلت ظلماني.. ولا قلبي ياما ضحى..**
قلت لها وحشاني وخُفت أجرحها..
ويدوب ببص في عنيها وخلاص
هلمس إديها لقيتها جوا حضني.. رجعت لمطرحها».

وأظن مفيش أجمل من أم كلثوم وهي بتقول:

«**وهمس لي قالي الحق عليه.. نسيت ساعتها بعدنا ليه**».

اللي هو أنا هشوفك هنسى إننا متخاصمين أصلاً.. المقابله اللي بتحل أي مشكلة وبتصفّي أي خلاف.. الحب كما يجب أن يكون، ومن أجمل تفاصيل علاقتنا إن البيت ده كان في الحيطة

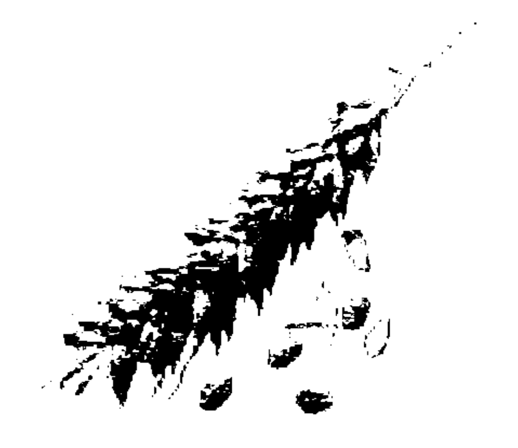
اللي فوق بوابته فروق بتبيّن مين اللي نازل من على السلم، طبعاً لما بصت لي من البلكونة كان وشها منفوخ من العياط، إنتوا عارفين البنات في المواقف دي مبيتحملوش الهوا.. اللي خلى اللحظة دي ليها غلاوتها في قلبي، وحفرها في ذكرياتي إني كنت شايفها، وهي نازلة على السلم من بين الفروق اللي في الحيطة، وكانت طول ما هي نازلة بتحلوّ، الموقف ده كان السبب إني أكتب قصيدة «**بتحلوّي**» وعشان كده عمري ما هنساه.

هتكتشف في النهاية إن الخلافات ممكن تبقى ذكريات حلوة بعد كده، وإن علاقتنا ببعض بتستمر مش عشان مفيش مشاكل، بتستمر عشان إحنا بنقدر نتجاوز مع بعض أي حاجة بتحصل، وباقيين على بعض، وبنختار بعض، وعارفين قيمة بعض.

وده اللي بيخلينا نكمل رغم أي خلاف.

❊ ❊ ❊

القسم الثاني
«أُخر يابسات»



اليابسة الأولى
سنبلة وحيدة في الصحراء



«الوحدة»

«محتاج لحد أكمله وأكمل معاه»

الوحدة تأتي مع الحياة

ويتني هيوستن

الوحدة، وما أدراك ما الوحدة، يا بتختارها بمزاجك يا بتختارها غصب عنك.

شبح بيطاردك..

هاجس بيخليك مش متزن نفسيًّا.

ممكن إحساسك بالوحدة يكون بسبب غياب شخص واحد.. وتبقى مستغرب إزاي الناس دي كلها حواليك بس انت «**فاضي من جوه**»، حاسس إنك تايه في مولد الناس والحياة.. قاعد معاهم بس روحك مش معاك، مطفي ومش عارف تحس بحاجة، ومش مستطعم حياتك، زي ما تكون الحياة وقفت عند لحظة معينة..

حتى الوحدة اللي انت بتختارها بمزاجك.. إنت مبتبقاش اخترت الوحدة.. إنت بتبقى اخترت كرامتك.. غبت عشان

تشوف مين اللي هيفتقد وجودك فعلًا.. عشان تعرف مين اللي هيسأل عليك.. غيابك مكانش أكتر من مجرد فلترة لقايمة الناس اللي في حياتك.. إنما انت ورغم إحساسك إنك مرتاح بالوحدة، وإنك كده مبسوط وبالك رايق.. مجرد حلاوة روح.. إنت مرتاح بس عشان بعيد عن الناس الغلط.. لكن لو انت محاط فعلًا بالناس اللي بتحبك وبتقدم لك الدعم النفسي، وبتسمعك وقت ما تفضفض، فإنت أكيد مش هتبقى مرتاح في الوحدة ولا هتحبها.

بس بييجي عليك وقت بتبقى عايز تمشي، تقول كفاية.. أنا بعمل إيه هنا.. بتحس فجأة إن ده مش مكانك، وإنك لازم تخرج من كل العلاقات اللي بتسحب من طاقتك وبتاكل روحك، مفيش حد يقدر يعيش لوحده..

إنت هتاكل وهتشرب وهتروح شغلك وهتقضي أيامك من الآخر يعني مش هتموت، وكده كده زي ما بيقولوا «**الحياة بتستمر**».

يمكن وحدتك تقرّبك من نفسك أكتر، يمكن تخليك تستثمر وقتك في قراية كل الكتب اللي جبتها، وكل الأفلام اللي مكنتش فاضي تشوفها، وبعد فترة تلاقي نفسك اتعودت على كده، فتنزل تقعد مع نفسك على القهوة بعد ما كنت بتنزل مع صحابك، وتاخد كورساتك لوحدك من غير ما تستنى إن حد يشجّعك، تشتري لبسك مع نفسك من غير ما تاخد رأي حد.

تروح للدكتور من غير ماتاخد حد معاك، وبتعمل كده بنفسك ولنفسك عشان إنت فعلًا معندكش حد.

مرة واحد قال لي هييجي وقت تتمنى فيه إن حد يسألك «**إزيك**»، ليا صديق كان بيحب مراته جدًّا، وبعد ما انفصلوا بفترة.. قلت له: **مبتفكرش ترجع؟!** قال لي: تصدق إني مش مفتقد حبها ليا قد ما مفتقد سؤالها عني.

وقال لي: **يا أخي إنت بتحتاج حد يقولك إنت كويس؟! إنت كلت؟! سرحان في إيه؟! طمني عليك محتاج شوية ونس.. محتاج تحس إنك مهم في حياة حد.**

أحمد حلمي في فيلم «آسف على الإزعاج» لما منة شلبي قالت له امشي، قال لها:

«**مش هعرف.. مش هعرف.. عشان هبقى لوحدي.. وأنا مش عايز أبقى لوحدي**».

عبد الرحمن الأبنودي في قصيدة العمة يامنة بيتكلم عن الوحدة اللي بيمر بيها الإنسان في آخر حياته، وبيقول:

«**طب انا ليا ست سنين..**

مزروعة في ضهر الباب..

لم طلوا عليا أحبه ولا أغراب»

وقال كمان:

«**لو جاك الموت يا وليدي موت على طول..**

اللي اتخطفوا فضلوا أحباب..
صاحيين في القلب كأن محدش غاب..
واللي ماتوا حتة حتة ونشفوا وهما حيين..
حتى سلامُ عليكم مش بتعدي من بره الأعتاب».

كأن الموت وانت صغير أهون من إنك تكبر وتعيش لوحدك.

أنا عن نفسي (مبعرفش أعدي) الجملة دي بتلخَّص كل حياتي تقريبًا.. ظروفي الصحيه أجبرتني إني أبقى دايمًا محتاج حد.. حد يساعدني وانا بمشي وانا بطلع السلم وانا بلبس الجزمة، مبعرفش أشيل حاجة تقيلة، ومبعرفش أقف في طوابير، محتاج حد يقول رأيه فيا ويجاملني عشان ثقتي في نفسي متتهزش.. محتاج حد يعديني الطريق.. طريق الحياة.. حد يحسسني بقيمة وأهمية «الشراكه».. حد أبقى أنا كل حاجة في حياته.. حد يحطني رقم واحد في أولوياته، حد يحسسني إني محور يومه.. وزي ما قلت قبل كده في أغنية مطلوب حبيب:

يقاسمني في دموع الفرح..
ضحك العزا..
والصمت والخوف والبكا
والاحتياج والنرفزة

تبقى بتتسحل في شغلك وبتنجح وكيانك بيكبر، وبتحقق

ذاتك، وفخور بنفسك، بس برضه محتاج تسقيفة ست واحدة.. محتاج تروح تترمي في حضن.. محتاج حد تقلع وشك قدامه.. تعري روحك من غير حساب.. حد يعرفك بكل الندبات اللي في روحك، ويحبك زي مانت وخلاص.

الفنان الراحل فؤاد المهندس في لقاء مع مفيد فوزي كان بيقول بمنتهى العفوية والبساطة اللي في الدنيا:

«أنا بدلع نفسي كل يوم.. مش لاقي حد يدّلعني.. أنا بدلع نفسي.. بدلع نفسي الصبح.. أقعد أبص لنفسي وأقول إيه.. يعني هتعمل إيه النهارده.. يعني أبص لنفسي وأبص لعيني وأبص لمناخيري وأبص لـ... أنا مناخيري معلش وارمة النهارده شوية إنما معلش.. الحنان بيديني طاقة.. الحب يديني طاقة.. الدلع يديني طاقة.. كل الحاجات دي.. كل الحاجات الآمنة.. اللي فيها رفاهية العواطف.. فاهم؟! ده يخليني أنا في أحلى وقتي وفي أوج قوتي في الفن».

فردّ عليه مفيد فوزي وقال له:

«انت عارف إن أنا.. اسمح لي يعني أكتم انفعالاتي.. لكن مش متخيل خالص إن فؤاد المهندس.. هذه القمة المصرية العربية.. بيدلّع نفسه؟! مش ممكن يعني فؤاد المهندس مفيش في حياته إنسان يدلعه ويهننه، ويطلّع كل اللي في قلبه من المخزون العظيم ده؟ ده معقول؟».

وفجأة فؤاد المهندس قال له:

«أنا ملقيتش حد يدلعني يا أستاذ مفيد.. ملقيتش حد يدلعني.. مفيش حد استناني ع الغدا».. ثم كتم دموعه واستطرد كلامه وقال: «آه بدلع نفسي أنا محتاج ده.. طبيعتي كده.. كانت أمي الله يرحمها تدلعني.. وكان بابا الله يرحمه يدلعني.. وعارف فؤاد.. عارف فؤاد ينتج منين.. ينتج إزاي.. وأمي كانت كده.. عارفاني تمامًا.. صفية أختي ساعات تدلعني.. بس مش فاضية علشان عندها بيتها وأولادها وجوزها، يعني أنا القريبين مني أوي.. بيحاولوا يدلعوني.. بس أنا مفيش حد جوايا، جنبي.. شريكة لحياتي».

«عكس الشعور بالوحدة.. ليس التواجد سويًّا، لكن الألفة»

ريتشارد باتش

إنت هتفضل حاسس بالوحدة طول ما انت في المكان غير المناسب.. طول ما انت في الدايرة غير الآمنة.. طول ما انت مع الناس اللي مش شبهك.. طول ما بتحاول تتأقلم على أوضاع أو على أشخاص إنت مش حاببهم ومش حابب وجودهم في حياتك.

عشان متحسش بالوحدة لازم تحس إنك «لايق»..

لايق على شغلك.. على صحابك.. على الناس اللي بتقابلهم كل يوم.. الأبنودي في قصيدة «جوابات حراجي القط» كان

بيوصف إحساس العامل الصعيدي وهو مسافر يشتغل في السد العالي وسايب بيته وعيلته، بيوصف الغربة اللي بيحسها الإنسان، وهو بعيد عن الناس اللي منه، فقال:

«عارفة يا مرتي الراجل في الغربة بيشبه إيه؟!
عود درة واحداني في غيط كمون».

الوحدة والغربة وجهان لعملة واحدة، هي إحساسك إنك مش شبه المكان اللي انت فيه.. بس مش عايز أو مش قادر تمشي.

الشاعر نبيل عبد الحميد اتكلم عن دايره الصحاب اللي بتتفركش بعد ما مرحلة الجامعة بتخلص، وكل واحد بيتسحل في دايرة أكل العيش والحياة في قصيدة «كنا سبعة»:

كنا سبعة
ويّا بعض نروح ونيجي
أي وقت وأي حتة
جامعة ماشي
قهوة ماشي
أي هلس ورمي جتة
بس من بعد الشهادة
كله كان عمال يعافر
شال هدومه وراح مسافر

خد هدومه وسابنا ستة
ساب جاكته لواحد فينا وقال له ذكرى
ردّ قال له عمري ما انساك يا صديقي
شالها عنده
ويوم جوازه كان لابسها
وسابنا خمسة
فات شهور وعملنا حادثة
كان سببها الصربعة..
طيش شباب وهزار سواقة
وضحك فاضي ومرقعة
والتمن كان حدّ غالي
مات وسابنا أربعة
صدمة كانت مفجعة
لما فوقنا قالوا لنا مات
واما واحد فينا كمل
باقي عمره بعكازات
كان بيمشي تاتا.. تاتا
والألم خلاه يسيبنا
للخطاوي احنا التلاتة

بالمعارف والوساطة
والرشاوي والهدايا
جاله تعيين قبلي
راح مسافر وساب واحد معايا
والنهاية
نيجي نقعد ع القهوة
نيجي نحكي مرة كل فين وفين
والمسافة تزيد ما بينا
والشهور بتجيب سنين
باقي مين
غير حنين الروح ودمعة
وصورة كانت باقية عندي
وافتكر لو شفت جامعة
ولا جنب القهوة اعدي
إن إحنا كنا سبعة
وإني في الآخر
لوحدي

ودي الحقيقة، كده كده هيجيلك وقت تحس فيه إنك لوحدك، والمرة دي مش بمزاجك هيبقى غصب عنك.. بطبيعة

الحال الدنيا تلاهي وكل واحد عنده اللي يخليه مشغول عن التاني مهما كان بيحبه، وعشان ننجو بأنفسنا من قلبة الأيام والوحدة اللي في آخر الرحلة، لازم نحوّش حد للزمن.. شريك للحياة.. يفضل معانا لحد ما ندبل مع بعض، يكمل معانا لآخر يوم نعيشه، ويبقى هو ده «تحويشة العمر كله».

نقطة ومن أول الناس.

* * *

اليابسة الثانية

العطش



«قليل منك يكفيني»

«عند الجوع لا يوجد خبز سيئ»

ماركيز

للأسف ده بالظبط اللي بيعمله الاحتياج في الناس، الاحتياج بييجي بعد ما بتقع في فخ الوحدة.. بعد ما بتبص لنفسك وتقول: «**هو أنا مستاهلش أتحب فعلًا؟!**»، «**هو أنا ليه مفيش في حياتي حد زي بقية الناس؟!**»، «**هو أنا ليه معنديش حد يكلمني ويسأل عليا وياخد باله مني.. ويهتم بكل كبيرة وصغيرة في حياتي؟!**».

انتشرت على السوشيال ميديا بوستات من نوعية «**هو أنا ليه محدش بيحبني؟**»، وكذلك البوستات اللي بتتكلم عن احتياج الناس العاطفي اللي بيتضخم بعد الساعة ١٢ بالليل، وعن آلام الناس اللي عمرها ما حست باحتواء، الفراغ القاتل اللي بيصاحبك كل ليلة.. وجعك اللي مبتعرفش تحكيه.. والحاجات اللي مضايقاك ومش عارف تقولها لمين.. كل الحاجات دي بتجعل منك في النهاية إنسان ضعيف قدام أي اهتمام.. أو أي كلمة حلوة.. وقتها بتبقى عايز تسند على أي كتف وخلاص.. أي حد يلملم شتاتك، ويصالحك على نفسك تاني ويرحمك من إحساسك

إنك «قليل» أو متستاهلش تتحب.. بتبقى جعان مشاعر.. جعان حب وجعان مراضية وطبطبة.. وزي ما قال ماركيز: «عند الجوع لا يوجد خبز سيئ».. فجأة بتلاقي نفسك بتركب في أول قطر يقابلك.. وترتبط بأول حد يقولك كلمة حلوة.. من غير ما تفكر هل انت بتحبه بجد.. ولا بتحب حبه ليك.. بتحبه ولا شبطان فيه وخلاص؛ عشان مش عايز تبقى لوحدك.

«قول لي أنا بحبك عشان مموتش نفسي..
هرمي نفسي تحت الشريط (شريط القطر)،
والمصحف لو ماقلت لي أنا بحبك.. إوعى
سيبني.. قول لي بحبك طيب.. قول لي
طيب بحبك».

عبلة كامل فيلم «هيستريا»

آه الاحتياج بييجي كنتيجة للوحدة بس عمره ما هيعرف يدخل غير من بوابة الاكتئاب، تخيل شخص أجبرته الظروف إنه يبقى وحيد، وبعد كده يدخل في حالة اكتئاب، تفتكر إيه اللي ممكن يحصل للي هيحاول يدخل حياته.. إنت حرفيًّا بتبقى داخل تلمّ إزاز، لازم تبقى عامل حسابك إنك معرض للجروح بسببه طول الوقت، أصعب شخص ممكن تدخل حياته هو الشخص المكتئب؛ عشان الاكتئاب بيخليه يفقد القدرة على الانبهار بالأشياء، شخص معندوش أي حاجة يديهالك، إنت دخلت حياة واحد «**خلص**».

«بالأمس، ظننت أن قبلاتي قد امتصت كل تلك الوحدة بداخلك. ظننت أنني فعلت، لكنك نهضت، بعظام عارية وأيدٍ مرتعشة، وأخبرتني بعقدة أخرى في جسدك، لا يمكنني حلها..

لا أعرف أبداً ما الذي يجب عليَّ قوله ردًّا على مثل تلك الأشياء. «لا بأس». «عد إلى السرير». «أرجوك، لا ترحل مجددًا».

أحيانًا، كنت ترحل بالأيام، وكان كل ما باستطاعتي فعله هو ألا أتصل بالشرطة، وأحرر محضرًا باختفائك، وأنت هنا، غافٍ بجواري في الفراش، بعينين كمنزلٍ خاوٍ في الشتاء، موقدة أنواره فقط لإبعاد الدخلاء. إلا أنه في حالتنا، كنت أنا الدخيل، وكنت أنت حبيس سجن ضيق لا يسعى أحد للتسلل إليه.

بالأمس، ظننت أنني منحتك سبباً لئلا تحزن عندما حملت جسدك كنوتة عالية، بينما كنا نرتجف من فرط الإجهاد، إلا أن بعض الناس تتجاوز أحزانهم كل المنطق، وكل الرفق، وكل المحبة. الآن بت أعلم أفضل..

أعلم ما ينبغي عليّ قوله ردًّا على تلك الأشياء التي تهمس لي بها في الظلام، بعظام عارية وأيدٍ مرتعشة: «لا بأس». «يمكنك البقاء في السرير». «أرجوك، عُد إلي من جديد».

أن تقع في حب مريض بالاكتئاب

دونا رايلي – ترجمة: جنة عادل

أنا يمكن أكتر واحد متعاطف مع مرضى الاكتئاب، مش

بس عشان منهم، ولا عشان معاركي مع الاكتئاب مستمرة لحد النهارده.. لكن علشان المكتئب عايش اليوم بيومه.. بيقاوح مع الدنيا بالشكل اللي يخليه يقاوم لمدة يوم كمان.. بس في الحقيقة أنا برجع، وأتعاطف أكتر مع الشخص اللي بيقرر يكمل في علاقته بحد مريض بالاكتئاب.. مريض الاكتئاب بيبقى عامل زي الغريق المتهيج.. لازم اللي بينقذه يكون واخد باله جدًّا عشان ممكن يغرق معاه.. لأنه من غير ما يقصد هيسحب طاقتك كلها.. وياخدك لعالم الانطوائية والكآبة.. ولازم الشخص المكتئب ده يبقى عارف إن لكل إنسان طاقة تحمل.. بعدها مش هيقدر يدّي حاجة.. وإن الشمعة اللي دخلت تنور حياته هيجيلها وقت وتخلص.. عشان كده لازم يتقاسموا في كل الحمول اللي شايلينها.. على رأي والد الشعراء فؤاد حداد:

«حمل الليالي خفيف.. لما يشيلوه اتنين»

الاحتياج ما هو إلا فراغ عاطفي كبير بيتسلل لقلب البني آدم.. ويفقده ثقته في نفسه.. فتلاقي نفسك بتدور على النور والأمان والدفا.. بس للأسف ممكن تلاقي نفسك بتلعب لعبة الفراشة والصاعق.. وأول ما تقرب تندم.. وتكتشف إنك في المكان الغلط.. ولا انت عارف ترجع لوحدتك، ولا انت عارف تكمل معاه.

في فيلم HER

كان بيتكلم عن «ثيودور» بطل الفيلم اللي كان عايش لوحده

بعد انفصاله عن مراته.. كان شغال في شركة «كتابة رسايل»، وكان بياخد أجر مقابل إنه يكتب للناس رسايلهم الشخصية، يعني بمعنى أصبح ثيودور هو الشخص اللي انت بتروح له لو انت عايز تبعت رسالة لحد، ومش عارف تكتب له إيه.. بيقضي معظم وقته ما بين صحابه وبين ألعاب الفيديو.. وفجأة بيسمع عن نظام تشغيل جديد اسمه «أو إس واحد»، النظام ده كان قايم كله على الذكاء الاصطناعي حاجة كده زي «سيري» في موبايلات شركة «آبل».

بس إحنا هنا طبعًا بنتكلم عن النظام الأذكى في العالم، وطبعًا بيتعرف على «سمانثا» اللي هي في الأساس شخصية افتراضية مش موجودة في الواقع.. وبيبتدي يتعلق بيها ويحبها.. معظمنا مرّ بمرحلة إنه يتعرف على شخص عن طريق الإنترنت.. وعلاقتهم تتطور لرغي بالساعات في الموبايل.. وفجأة الشخصية دي بتتبخر بعد ما بتبقى وصلت معاها لأقصى درجات التعلق والارتباط العاطفي.. الاحتياج ليه أنواع كتيرة أصعبها هو الاحتياج اللي بتعيشه بعد ما بتتساب.. أعراض الانسحاب اللي بتدخل فيها بعد كده.. إنت بتمر بأسوأ أنواع الإدمان «**إدمان الأشخاص**».. بيبقى مطلوب منك بين يوم وليلة تمحي شخص من ذكرياتك كأنه مكانش.. ولعنة النسيان في إنك طول مانت بتحاول تنسى حاجة.. طول مانت بتفتكرها.

فيلم Eternal sunshine

واحدة من أهم القصص اللي اتكلمت عن محاولات النسيان والخروج من علاقة مينفعش تكمل.. أحداث الفيلم بتدور حوالين «جول» و«كلمنتين»، اتنين بيدخلوا في علاقة حب لمدة سنتين، وفجأة «كلمنتين» بتقرر إنها تروح عيادة طبية، وفي العيادة دي جهاز قدرت من خلاله إنها تمسح «جول» من ذاكرتها بشكل نهائي.. هو وكل التفاصيل المرتبطة بيه.. وده حصل بعد حصيلة كبيرة من التراكمات السلبية اللي أدّت في النهاية إنها تقرر تتخلص من العلاقة دي للأبد.. طبعاً «جول» بدروه بيروح العيادة، وهو في منتهى الغضب عشان يمسح «كلمنتين» من ذاكرته، وينهي العلاقة هو كمان بكل تفاصيلها.. لكن للأسف وقتها بتنتابه رغبة عكسية في إنه يسترجع كل شيء بينه وبينها.. ويعمل كل اللي يقدر عليه عشان يحتفظ بذكرياته معاها.. الموضوع مشابه أوي لمشهد في أحد أهم الأفلام اللي اتكلمت عن زراعة الأفكار وهو فيلم Inception

أقول لك: لا تفكر بالأفيال

بم تفكر؟!

= الأفيال

إنت ممكن تبقى بتفتكر بس لمجرد إنك بتحاول تنسى؛ لأن ببساطة الشخص بييجي على بالك، حتى وانت بتدي الأمر لعقلك

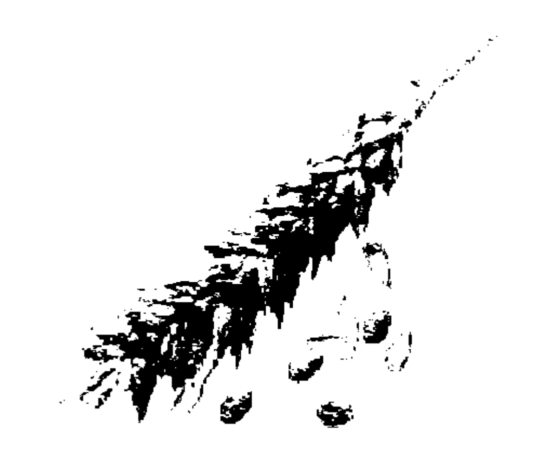
إنه ينساه، وإحنا اتفقنا إن للقلب كمان ذاكرته الخاصة.. يعني إنت كده كده متحاوط.. فمفيش أصعب من النسيان هو شيء أقرب للمستحيل، وطبعًا أنا مش محتاج أقول قد إيه الموضوع مرهق وصعب، وقد إيه علاقة واحدة ممكن تستهلك سنين طويلة من عمر الإنسان عشان يتجاوها ويعيش بعدها الإنسان مش بينسى، الإنسان بيتجاوز بعد كل مجموعة صدمات شخصيتك هتتغير لدرجة إنك هتحس إنك واحد تاني.. أو واحد تالت.. وهتشتاق لنسخ قديمة من شخصيتك.. كانت أبسط وأسعد.. وأكثر إقبالًا على الحياة.. التجارب اللي انت بتدخلها وتطلع منها بتخليك تشوف نهايات القصص قبل ما تبدأها.. وده اللي بيسموه «عنصر الخبرة».. بعد فترة بتبقى قادر تشوف الناس بعين تالتة.. بتبقى زي الجواهرجي.. باصص للناس وفاهم فيهم.. عارف مين يبقى صاحب خروجة.. ومين متشال للتقيلة.. عارف مين ينفع يدخل حياتك من غير ما يعمل دوشة.. وعارف مين مينفعش حتى يبقى في دايرة المعارف.. كل ما بتكبر كل ما كلمة «**بحبك**» نطقها بيبقى أصعب.. وفكرة ارتباطك بحد بتبقى ولا أصعب.. عشان انت مش عايز تدخل نفس الدايرة دي تاني.. أو حتى تقرب من أي دايرة محتمل إنها توصّلك لنفس النهاية.

نقطة ومن أول العلاقات.

* * *

اليابسة الثالثة

الإهمال



الإهمال

قلة الاهتمام

العقدة الصغيرة اللي بتبدأ منها كل العقد اللي مبنعرفش نفكها بعد كده..

كرة التلج اللي بتبدأ صغيرة، وتفضل تكبر لحد ما تاخد كل حاجة في سكتها..

مفيش علاقة بتنتهي فجأة، فيه حاجة اسمها تراكمات، والتراكمات دي ٩٠٪ منها بيبقى بسبب قلة الاهتمام!

«جميل أن تشعر أن هناك في زاوية ما من هذه الكرة الأرضية من يفكر فيك، ويتألم لك، ويهتز لآلامك وأشيائك الصغيرة».

واسيني الأعرج - رواية طوق الياسمين

عظمة الاهتمام كلها في إنك بتخلي الشخص يحس بقيمته وأهميته بالنسبالك، بيشوف انعكاس حبك ليه في الحاجات اللي انت بتعملها عشان خاطره، المرات اللي انت بتتعب فيها عشان هو يرتاح، كام مرة اخترته قبل ما تختار نفسك، كام مرة حس إنه رقم ١ في أولوياتك، كام مرة راضيته ونصفته على شكه في إنك ممكن تخذله! مهما كان الشخص واثق فيك فهو واثق فيك دلوقتي، لكن

بيفضل عنده هاجس إنك ممكن تتغير، وطول ما انت بتهتم بيه طول ما هو بيبقى متطمن وبينتصر على هاجس الخوف.. أم كلثوم مثلًا وهي بتقول: «**وبخاف عليك.. وبخاف تنساني**».

قالتها بنبرة استعطاف كأنها بتقوله: «**أنا بحبك إوعى تنساني**»، أنا حسيت بالجملة دي وقت ما كنت مسافر كام يوم بره مصر، وكانت (آية) جاية معايا المطار توصلني، أول ما خرجنا من الباب، وركبنا الأسانسير قالت لي: «**إوعى تنساني**».. وقتها أنا جسمي كله تلّج من الكلمة، وبقيت خايف فعلًا أبقى مشغول لدرجة إني ملاقيش وقت أكلمها خلال الكام يوم دول.. أول ما وصلت كنت حريص جدًّا إني أشاركها في كل تفصيلة بتحصل، وآخد لها صورة من كل مكان بروحه، وأبلغها بكل تفصيلة بتحصل في يومي، كأنها معايا بالظبط.. كنت بحاول وأنا مسافر أملأ الفراغ اللي سبته ومشيت في مصر.. كنت بحاول أقولّها بكل تصرفاتي إني مش أنا الشخص اللي ممكن تقلقي من إهماله.. وإني أكتر واحد كنت بعاني من تجاهل كل اللي بحبهم ليا.. لذلك وفي الحالة دي تحديدًا فاقد الشيء هو أحسن حد يعطيه.. كنت مستعد أعمل أي حاجة عشان ألغي فكرة إني ممكن أنساها دي من دماغها.. حتى لو اضطريت أسيب كل حاجة، وأرجع أقعد معاها..

«الاهتمام الكبير قد يغلب الحب أحيانًا».

نزار قباني

لما قررت إني أناقش مشكلة بالحساسية دي قررت أدّي مساحة للناس إنها تحكي عن الاهتمام اللي هي محتاجاه من وجهة نظرها، فعملت استفتاء عن الاهتمام وتأثيره على الناس، وعلى علاقتهم ببعض، جت لي رسايل كتير جدًّا اكتشفت فيها قد إيه الناس بقى عندها وعي باحتياجاتهم النفسية، وقد إيه أصدقائي من قراء كتبي مثقفين نفسيًّا، وعندهم حس تعبيري، وبيعرفوا يكتبوا عن نفسهم، هناقش معاكم أكتر الرسايل شمولًا للاهتمام كفكرة أو كفعل!

الرسالة الأولى:

«الاهتمام بالنسبالي أهم بكتير من الحب، بس أنا طول عمري مفتقداه، يمكن طول الوقت بقدمه لغيري عشان ألاقي حد يقدمهولي، بس أنا عمري ما لقيته، عمري ما لقيت حد مهتم بيا لدرجة إنه يبقي فاهمني أكتر مني، أو أنه يلاحظ إني مش كويسة وبكدب، أو إنه يعرف يخليني أخرّج حاجة تاعباني، وكاتماها جوايا، أنا عمري ما لاقيت حد يخليني أبقى متطمنة جنبه وواثقة فيه».

الرسالة الثانية:

«الحقيقة الاهتمام من وجهة نظري إنه حد يحس بيا، يفهم سكوتي من غير ما اتكلم، ميكونش عارف إني في ضيقة وما يقفش جنبي، يفهم إني هتبسط بوجوده، يفهم إني منتظراه هو يهتم لو كل البشر حواليا المعضلة دي كبيرة أوي».

الرسالة الثالثة:

«الاهتمام.. احتواء للروح، إكمال الناقص من شخصية الطرف الآخر، إعادة المفقود من الثقة بالنفس اللي تسبب في فقدها انتقاد الناس وآراؤهم السلبية، كلنا بنحتاج الاهتمام، عشان كلنا محتاجين إيد تطبطب علينا، وتحسسنا إن وجودنا فارق.. إن لينا وجود أصلًا، محتاجين مشاركة الحاجات الصغيرة اللي بنحبها.. لما اللي قدامنا يهتم بالتفاصيل دي بنحبه تلقائيًّا، وبنحب وجوده في حياتنا، الاهتمام طمأنينة، الاهتمام جزء كبير من الحب، عشان كدا حب بلا اهتمام يعتبر حب ميت متبلد المشاعر، الاهتمام بييجي بعد الحب على طول أول ما تحب شخص هتهتم بيه تلقائيًّا، لما تحب اختصاص أو هواية أو شغلانة هتهتم بيها من غير ما تحس، وغلط بيرتكبوه الناس إنهم يتصنّعوا الاهتمام، بتستنزف طاقة من مشاعرك ومشاعر اللي قدامك.

الرسالة الرابعة:

«الاهتمام: ما هو إلا تكبير لكلمة أفعال أو بمعنى أصح كلمة أشد من فعلي لإثباتي ليك/ ي إني بحبك، إني اشوف التفاصيل الصغيره اللي بتفرحك واعملها، الحاجات الأصغر اللي بتضايقك ومعملهاش، آخد بالي من التفاصيل وأحاول أرسم البهجة ف حياة الطرف التاني، أكون جنبه لو العالم سابه، أرفع

منه أوووي وأحسسه إنه أرقى وأعظم من أي حد على الكون، ويا ريت يفضل أعظم مني، الاهتمام يساوي أفعال، وملوش دعوة بالكلام، إذا كانت صداقة أو علاقة حب، الاهتمام اكتمال العلاقة وبيحييها، ولو قلّ الكلام بيننا ممكن بمجرد اهتمام بسيط لتفصيلة ملهاش أي لازمة تسقي العلاقة من تاني، هو مفيش تشبيه تاني غير إن العلاقة عاملة زي الورد تهتم بيها وتسقيها تفتّح، تسيبها تموت وتدبل، وعشان كده الاهتمام اكتمال لأي علاقة حتى لو هنهتم بشكلنا ونغيره عشان اللي قدامنا بس يبتسم ولو ابتسامة صغيرة خالص، بس مع الوقت بتفرق، مع الوقت الاهتمام بيخفي العيوب، وبيزيد المحبة، الاهتمام حلو أوي، ويا بخت اللي يلاقيه من الشخص اللي بيحبه».

الرسالة الخامسة:

رسالة كانت من كاتبة صديقة قالت لي فيها: «الاهتمام هو فعل بسيط جدًّا، مينفعش نقول الظروف مش بتخلينا نهتم؛ لأن اللي بيهتم فعلًا هيخلق وقت للي بيحبه بحاجات بسيطة، ممكن مكالمة تليفون، رسالة «إنت على بالي ومش ناسيك»، حاجة بسيطة نتطمن بيها وسط الزحمة إن لسه لينا مكان، الاحتياج للاهتمام ده شيء بشع، ومؤذي، والأسوأ منه لما تقع ضحية لشخص بيحبك ويهتم بيك، ويسحب من تحتك سجادة الاهتمام، وكأنك بتطلع لسابع سماء، وتنزل بتجاهله ليك وقلة تقديره لسابع أرض.. الاهتمام

هو التفاصيل اللي ممكن أكون أنا نسيتها، بس ولأن الشخص ده بيحبك عمره ما هينساها، عمره ما هينسي مثلاً أني بحب الشاورما إكسترا تومية، ولا أني بحب أمشي على البحر لما بتعصب، ولا إني لما أقول امشي يبقي أنا قاصدة إنه يمشي فعلًا، كلمة امشي بيبقي معناها خليك.. أنا محتاجلك، الاهتمام إنه يعرف إني بتوتر من الزحمة، فيمسك أيدي تلقائي يطمني رغم إني مقولتش إني خايفة».

الرسالة السادسة:

«الاهتمام مش بس مقتصر على واحد وواحدة بيحبوا بعض، لا ده بين الإخوات كمان، والأصدقاء، وخاصة الأصدقاء، هو إنك تكون أولى الأولويات، ومتنفعش تتحط بين اختيارات، نبقى مع بعض في وقت الفرح والحزن والأمل واليأس والاكتئاب والسعادة بدون ملل، الاهتمام إننا منزهقش من بعض مهما قلّ كلامنا أو خلص. الاهتمام إنك تحس إني محتاجلك على طول فداياماً ألاقيك موجود وتفهم وتحس بيا أكتر من نفسي، الاهتمام هو المية اللي بتسقي زرعة الحب لو قل أو اختفى الزرع يموت».

الناس وهي بتتكلم عن الاهتمام.. كانت بتتكلم عن الحب وهي مش واخدة بالها، واحدة من ضمن الرسايل كان مكتوب في أولها «**الاهتمام مطلب لا يُطلب**».

أنا وقفت عند الرسالة دي تحديدًا؛ لأن ده بقى مربط الفرس.. الاهتمام فعلًا هو الحاجة اللي أنا عايزها، بس مينفعش

أقولك تديهالي.. لازم إنت بنفسك تدور ناقصني إيه.. آه طبعًا تدوّر وتتعب، وتحسسني إنك بتبذل مجهود.. أومال انت هتثبت إنك بتحبني ازاي.. بالعكس بقي ده انت هتبقى حاسس إن تعبك وانت بتحاول تهتم بيا وترضيني راحة.. أو على الأقل هتنسي تعبك بمجرد ما تحس إني مبسوط.. بس فيه سؤال مهم هنا:

لما الناس كلها عارفة يعني إيه اهتمام.. أومال ليه فيه ناس مابتعرفش تهتم؟

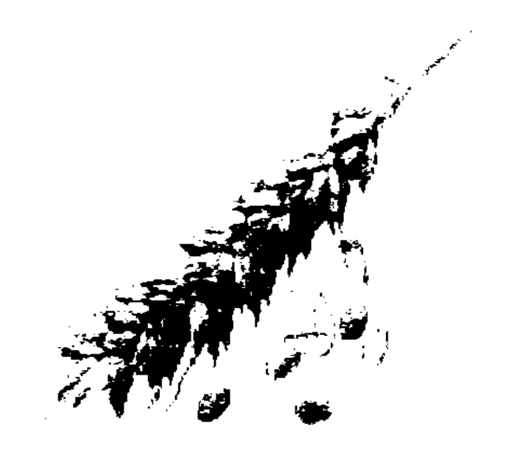
أتمنى مكونش بفاجئكم لما أقولكم إن الناس كلها بتهتم، بس كل واحد بيهتم من وجهة نظره هو.. كل واحد بيحس إنه بيعمل اللي عليه.. والخلاف جاي من إن الاهتمام معروف.. بس نسبي.. الاهتمام من وجهة نظري هو إنك تتحب الحب اللي نفسك تتحبه.. تتحب بالطريقة اللي انت متخيلها، وزي ما اتمنّيت تتحب.. تتحب بالطريقة اللي انت بتحب بيها.. بس في النهاية مش كل الناس بتعرف تحبنا زي ما نفسنا نتحب.. وعشان كده دايمًا بنحس إن فيه حتة ناقصة دايمًا، واحنا بنتكلم عن الاهتمام.

وزي ما نجيب محفوظ قال: **«مهما كبرنا تبقى قلوبنا كالأطفال، تحتاج الاهتمام»**.

نقطة ومن أول الحب.

* * *

اليابسة الرابعة
أزمة الخوف



«الخوف»

- يعني ازاي البني آدم يختار حد، ويحس ويبقى متأكد وعارف إنه عايز يقضي بقية حياته معاه؟

= إنتي بتسأليني ولا بتسألي نفسك يا «زينة»؟!

- لا أنا بتكلم في العموم، مش ممكن بعد شوية تلاقي واحدة وتحبها أكتر، وتحس إن هي دي اللي انت عايز تقضي معاها بقية عمرك؟

= أنا عن نفسي شفت كتير وعارف كويس إني مش هبقى مع حد غيرك يا «زينة».. عارفة ليه؟! عشان أنا بحب روحك يا «زينة»، ودي حاجة مبتتغيرش مع الوقت.

فيلم «أسوار القمر»

أزمة الخوف اللي بتسيطر عليك بعد ما بتختار وتلاقي نفسك بتسأل: هو أنا خلاص كده؟ هكمل حياتي مع الشخص ده؟! طب يا ترى أنا اخترت صحّ ولا غلط؟ ومش معقول أبقى خدت قرار وأنا عندي ٢٥ سنة، وأفضل أتحمّل كل النتايج المترتبة عليه بقية حياتي! ممكن يبقى اختياري مناسب للفترة دي، للنسخة دي من شخصيتي.. لميولي وأفكاري في الوقت الحالي بس.. إنما بعد

كده ممكن جدًّا أحس إني مش مع الشخص المناسب.. حتى من غير هو ما يتغير.. ممكن أنا اللي أتغير.. وأفضل مكمل بس لمجرد إني بنيت حياة مينفعش أهدها؛ لأنها مبقتش حياتي لوحدي.

ناس كتير أوي عايشين مع بعض لسه بس عشان خاطر ولادهم يتربوا بين أب وأم، لازم نبقى مدركين الفرق بين الحب والجواز.

الحب مفيهوش كل هذا الكم من المسئوليات اللي في الجواز.

في الحب إنت بتبقى آه مسئول عن الشخص وسعادته، بس برضو انت لسه مدخلتش عالم المسئولية الكاملة.

الجواز يعني انت بتعمل كل حاجة.. انت شغال عند مراتك وولادك.. كنت دايمًا بسأل نفسي هو ليه أبويا بيقوم كل يوم الصبح يروح شغله، وازاي ما حسش بالملل على مدار ٣٠ سنة؟ إزاي مجاش في مرة واختار نفسه، وقال كفاية أنا عملت لهم كتير؟ إزاي قدر شايل كل المسئوليات دي من غير حد ما يحسس حد إنه مربوط في ساقية أكل العيش؟ إزاي قدر يوفر كل الفلوس اللي اتعلمنا ولبسنا واتعالجنا وأكلنا وشربنا بيها، من غير حتى ما يتكلم عن نفسه أو يخرج مرة واحدة من ثوب المسئولية؟

وازاي أمي كانت بتزقّ المركب مع أبويا، وبتصحي تحضّر فطار، وتكوي هدوم، وتودي مدارس، وتذاكر معانا، وتحرم نفسها من جزمة وشنطة وفستان؛ لمجرد بس إنها تجيب لنا إحنا،

وده بعد ما كان دولابها مبيقفلش من كتر اللبس اللي عندها؟

إزاي قدرت تنسى نفسها بمنتهى الرضا؟

إزاي كانت بتحوّش من مصروف البيت، وتلم القرش على التاني؛ عشان تساعد أبويا في تجهيز إخواتي البنات؟

وازاي كانت بتعمل نفسها شبعانة لو الأكل كان ع القد.. الفلوس اللي بتتشال على جنب عشان طلعة المصيف في نص ٨ من كل سنة.. تفاصيل ملهاش تفسير غير إنها «رحمة ومودّة»..

لذلك بعد الجواز التفاهم بييجي قبل الحب.. والرحمة بتيجي قبل التفاهم.

الجواز زمان كان يُعامل معاملة «المشروع».. اللي فيه كل واحد بيؤدي دوره على أكمل وجه.. كان فيه نظام دقيق ولا أفخم ساعة روليكس.. كل واحد كان عارف مسئولياته.. واللي بيتعب التاني بيهوّن عليه.. وبيشيل معاه لحد ما يتجاوز فترة التعب دي.. دلوقتي الموضوع اختلف.. فكرة المسئولية نفسها والالتزامات اللي بيتحط فيها الشخص بمجرد ما بيدخل في علاقة، واللي تقريبًا بتتضاعف بعض الجواز، خلى معظم الناس مبقاش عندها طاقة تقاوح، وبقى فيه حالة خوف من الدخول في علاقة.. بقى فيه هاجس من فكرة القرب نفسها وده اللي بيسموه:

commitment phobia.. الخوف من الارتباط

«الحرية ليست عدم وجود التزامات، ولكن

هي القدرة على الاختيار -والالتزام- بما هو الأفضل بالنسبة لي».

باولو كويلو

الخوف ده مبني على مجموعة من الأسباب؛ أولها:

بيبدأ من دايرة الأهل، خصوصًا لما الشخص بيكبر في أسرة مفككة، ده بيخليه يدخل في نفق طويل من التردد والخوف إنه يدخل علاقة فيحصل معاه نفس اللي حصل مع أهله.. وده خوف ليه سبب واضح ومقبول.. خوف مبرر.. ده غير إنك ممكن تبقي دخلت في تجارب سابقة واستهلكتك نفسيًّا.. أو خصمت جزء كبير من مساحة الحرية الخاصة بيك. أو سابت جواك علامة مخلياك مرعوب تقرب من أي حد وتتعلق بيه.. وده خوف مفهوم.. عشان مش هيخليك تدخل أي علاقة جديدة غير بعد ما تمر بمرحلة التعافي.. وتسترد صحتك النفسية وتبقى سوي، وقادر تدخل في علاقة جديدة ده غير التجارب اللي بنشوفها حوالينا.. زي إنك تشوف كل أصحابك المرتبطين مش حاسين بالسعادة.. فتحس إنك مرتاح في الوحدة.. وتخاف تقرب من أي حد يحرمك من استقرارك النفسي.. وده خوف أنا بحس إنه سجن من غير سور.. خوف ملوش تفسير؛ لأن صوابعك مش زي بعضها.. ومش معنى إن فلان مش مبسوط..

يبقى انت كمان هتبقى زيه.. كل علاقة وليها حيثيات مختلفة.. وكل واحد قلبه له كتالوج مختلف عن التاني..

«عندما تمتنع النساء عن الزواج، فإننا نعتبر ذلك استقلالًا، لكن عندما يمتنع الرجال عن الزواج.. فإننا نعتبر ذلك خوفًا من الالتزام».

وارن فاريل

ولو هنعمل مفاضلة بين مين بيقع تحت تأثير الهاجس ده أكتر.. الراجل ولا الست؟! الراجل هييجي في المقام الأول؛ لأن الراجل بيحس إنه على مشارف دخول القفص الذهبي، وإنه اتربط من رجليه الاتنين في حجر، مبقاش خفيف زي زمان، كل خروجة مع صحابه هتبقى بحساب.. كل سفرية هتبقى بترتيب، ولا كأنه بيعمل خطة نهائي دوري أبطال أوروبا.. ده على اعتبار إن مبدأ إنه يسافر مع صحابه ده هيبقى موجود أصلًا.. خروجته اللي بتتحول من الكافيه لـ«فتح الله»، ومن سهرته مع صحابه لسهرته قدام التلفزيون في البيت.. العدد اللانهائي من باكدچات البامبرز.. ومصاريف المدارس والسبلايز.. انتظاره للشهر يخلص بفارغ الصبر عشان المرتب ينزل، ورسايل الواتساب اللي بتتحول من «وحشتني» و«بحبك» لـ«هات عيش وانت جاي».. كيس الزبالة اللي هياخده كل يوم وهو نازل.. كل دي بتبان من بره كلبشات.. بتخلي الرجالة خايفة تاخد الخطوة دي.

على الصعيد التاني البنات دلوقتي معظمها بيشتغل وعنده أحلام وكارير، وكل بنت بتبقى عايزة تحقق ذاتها، وبتحس إن الجواز أو الارتباط عمومًا ممكن يعطّلها.. هي كده كده بتاخد مرتب كويس وعايشة مع أهلها، وسعيدة في حياتها، وغالبًا مبتبقاش حاسة بالفراغ اللي لازم حد يملاه.. هي كده كده بتلاقي وقت تنام بالعافية.. نقدر نقول كل واحد بيبقى نايم على الجنب اللي يريحه.. وحاسس إن سعادته كلها في إنه يفضل single.. وده لأن الطرفين باصّين على المسئوليات بس.. محدش فيهم عارف قد إيه قعدتك في بيتك مع مراتك وولادك بالدنيا.. وقد إيه العيلة الصغيرة دي بتقدم دعم معنوي يخلي أي شخص يشيل أي مسئولية مهما كانت صعبة.. بالعكس ده بيبقي مستمتع برحلة شقاه عشان ولاده بيبقي زي الشمعة اللي بتتحرق بمنتهى الحب عشان تنور للي حواليها.. أنا بقول وجهة نظري، وإحساسي اللي عشته وجرَّبته بنفسي..

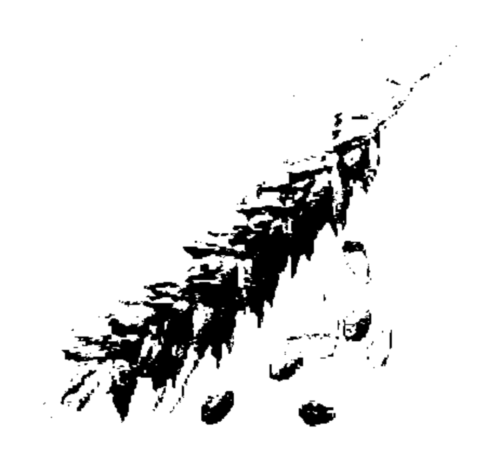
ما اقدرش أعاتب حد على خوفه، ولا أقدر أقول لحد ما تخافش.. كل اللي أقدر أقوله إن التزاماتك اللي انت خايف منها.. هي اللي ممكن تعمل لحياتك كلها معنى وقيمة.. مسئولياتك دي ممكن تبقى دورك الأساسي في الحياة.. لازم يبقى عندك حاجة تعيش عشانها غير نفسك.. لازم تحاول تصلح كل الغلطات

اللي شفتها في دايرة الأهل أو الأصدقاء.. أو حتى اتعرضت لها انت زمان.. وعشان ده كله يحصل لازم تبقى بتحب بجد؛ لأن اللي بيحب بجد عمره ما هيخاف من أي مسئولية، مش هيخاف حتى إنه يتغير أو حد يتغير عليه.. اللي بيحب بياخد القرار وهو مغمض.

نقطة ومن أول الأمان.

* * *

اليابسة الخامسة
قفص الأنانية



الأنانية

الأنانية مش في إنك تحب نفسك.. كلنا بنحب نفسنا.. الأنانية هي إنك ما تحبش غير نفسك.

في مرة كنت بتكلم مع أحد أصدقائي عن التضحية في الحب، وإن الحب قايم على العطاءات اللي إحنا بنقدمها.. والمجهود اللي إحنا بنبذله في سبيل إسعاد بعض.. بندخل سباق اسمه «**أنا بحبك أكتر**»، سباق الفصل فيه للأفعال فقط لا غير، كل واحد بيأكد محبته للتاني عن طريق تصرفاته.. والحاجات اللي هو على أتم استعداد يخسرها عشان يكسبه، وقلت له إن التضحية هي إنك متختارش نفسك.. ومتبقاش بتدور على سعادتك على حساب شريك حياتك.. وتبقى عارف إن الحب «**أخذ وعطا**».. مش معنى كده إنك تبقى بتدي عشان تاخد.. أو عشان مستني مقابل لتضحياتك، لكن معناه إنك متتعودش إنك تاخد وبس.

الأنانية ممكن تبقى حد بيحبك بامتلاك، حد فضل يجري وراك لحد ما طالك وعلّقك بيه، وفجأة حسّ إن خلاص اللعبة خلصت، الأنانية ممكن تبقى شخص بيحبك عشان إنت بترضيه.. مش بيحبك انت قد ما بيحب اللي بياخده منك.. الأنانية ممكن تبقى شخص عايزك له لوحده.. عايز يحبسك في

قفص الوهم ويقولك أنا خايف عليك.. يوهمك إن العالم كله بيكرهك وهو الوحيد اللي بيحبك.

بيخليك من دون ما تشعر تدخل في فخ.. وتشوف الناس كلها وحشة وهو اللي حلو، ساعتها مهما الناس حذرتك منه.. بتعمل نفسك مش شايف ومش سامع كل أجراس الإنذار اللي بتضرب حواليك.. وبعد ما تكتشف إنك اتخدعت فيه.. بتقول يا ريتني؛ وده لأن اللي بيخاف على حد بيديله مساحته، مش بيقيده.. مش بياخده من الناس اللي حواليه.. مش بيشكّله على مزاجه..

اللي بيحب حد بيحبه زي ما هو.. من غير ما يخنقه أو يحسسه إنه مربوط.. الحب مش فرض سيطرة ولا دكتاتورية قايمة على أمر ونهي.

مش تحكمات في أسلوب حياة أو طريقة تفكير.. الحب هو إني أخاف عليك، بس أبقى سايبك براحتك.. أحذرك من الغلط، ولما تغلط مش هشمت فيك، ولا هعلق لك مشنقة.. بالعكس أنا هاخد بإيدك، وهبقى حريص إنك ما تكررش غلطتك دي تاني.. هقف جنبك مش هقف قصادك.. هكمل معاك مش هكمل عليك.. هاخد رأيك.. وهسمعك وههتم بكل كلمة بتقولها.. هحسسك إنك لك قيمة ودور في حياتي.. مش هخليك مجرد ضلّ ليا.. مش همحي شخصيتك عشان أظهر شخصيتي.. ولا هتباهى بإنك مبتكسرش كلامي.

الحب يعني أعمل اللي يريحك وأبقى حريص على صورتك قدام الناس.. مجرحكش بكلمة.. ولا أقلل منك عشان أبان مسيطر عليك أو متحكم فيك.. الحب يعني احترام متبادل.. يعني أبقى عارف إن ليك شخصية مستقلة وأحترم رغبتك في إن يكون ليك كيان، وعندك حلم، وليك رأي من حقك تقوله، حتى لو أنا مش مقتنع بيه.. الراجل الحقيقي عمره ما هيخاف يرتبط بست قوية أو عندها شخصية.. وده لأنه واثق في قدرته على احتوائها.. وهي كمان عارفة إن المركب ليها ريس واحد.. ووقت الجد والأزمة مش هتراجعه في رأيه وتقف جنبه، وتبقي بمليون راجل وصاحب.

عشان كل ده يحصل لازم تبقي عارف إن حبيبك على ما تعوده.. وده لإننا احنا اللي بنصنع أنانية اللي بنحبهم.. إحنا اللي بنتمادى في العطاء لدرجة إنهم بينسوا إننا لينا حقوق.. إحنا اللي بنقدم تنازلات لا حصر لها.. لمجرد إننا عايزين نرضيهم، وبنحصد نتيجة التنازلات دي خذلان وندم.. إحنا اللي بنقدم فروض الطاعة اللي بتخلينا عايشين في بروازهم وبشروطهم هما.. بنحبهم أكتر من نفسنا فبيحبوا نفسهم أكتر ما بيحبونا.. ساعتها الغرور بيملاهم وبيتحولوا لأشخاص تانيين.. بنتصدم فيهم وبنحس إننا أول مرة نشوفهم.. وبنرجع نقول لنفسنا مش ممكن يكونوا هما دول اللي حبيناهم في الأول.

وبنتوه في سؤال مهم بيقول: «**هما اتغيروا بالوقت.. ولا هما**

كانوا كده، وإحنا اللي فوقنا متأخر؟».

الحقيقه إنهم اتغيروا.. محدش بيتولد أناني.. ولا حد بيدخل حياتك بيبقى عايز ياخد وبس.. لكن اللي بيحصل هو إن فيه حد اتعود على جرعة معينة من التضحيات.. لدرجة إنه مبقاش يشوف تعبك تعب حقيقي.. بقى شايف إن ده الطبيعي.. وإنك لو معملتش كل اللي تقدر عليه عشان ترضيه تبقى انت اللي مقصر وانت اللي غلطان.. وانت وقتها بتبقى هتتجنن.. إزاي اتشاف مقصر وعامل كل اللي تقدر عليه وأزيد.. إزاي أبقى بعمل كل ده وباجي على نفسي للدرجة دي، وانت مش مقدر.. خصوصًا إننا لو راجعنا شريط الأحداث.. هتلاقيه معملش عشانك العادي، في الوقت اللي انت عملت عشانه المستحيل..

- ياسمين أنا مش عايز أكمل، أنا أتخنقت، مش حقدر أبقى بطل الفيلم بتاعك، مش عايز أتعبك معايا أكتر من كده.. صدقيني أنا حاولت بس حاسس إن أنا بزقّ في حيطة، كده أحسن.

= طبعاً كفاية عليه كده.. لحسن تفوتك حاجة أحسن مش كده؟ على فكرة إنت مابتفكرش غير في نفسك.. إنت عمرك حبتني؟؟!! إنت عمرك حبيت أي حد؟ اللي مجنني إن الناس كلها كانت عارفة حقيقتك إلا أنا ماصدقتهمش ودافعت عنك.

- ياسمين.. أنا ماضحكتش عليكي، يمكن في الأول كنت كده، بس لو كملنا مع بعض مش هقدر أبقى مخلص، وأنا مش عايز

أعمل معاكي كده، ومع ذلك أنا عمري ما خنتك ولا حتى فكرت.

= لأ برافو ماكنتش أعرف إنها تضحية كبيرة بالشكل ده.. على فكرة إنت صعبان عليا أوي، أنت قعدت تجري ورايا شهور علشان توصل لحاجة واحدة بس مع إن كان عندك كل حاجة.. على فكرة أنا مش ندمانة عشان الحب أجمل حاجة في الدنيا، وأنا حبيتك بجد، واستمتعت بكل لحظة حب فيها، كنت حاسة إني طايرة وكنت فرحانة.. إنت كنت كل حاجة في حياتي.. بس علشان تبقى فاهم بقى أنا هخرج من هنا، وهقدر الاقي حد أحبه واديله كل حبي وهيقدرني.. بس أنت قدامك سكة من الاتنين يا حتموت لوحدك يا حتعيش مع واحدة مش طايق تبص في خلقتها.. بس اللي أنا متأكدة منه بقى إنك عمرك.. عمرك ما حتعرف الإحساس اللي أنا عشته».

فيلم «السلم والثعبان»

وقتها بتحس بأقسى أنوع الخذلان، بتحس إن تعبك كله راح ع الأرض.

عقلك بيقف عند لحظة معينة بتبقى مش عارف اللي انت عملته ده صح ولا غلط.. وهل كان لازم تختار نفسك وتحب بعقلك؟! وهو الحب بالعقل ده يبقى اسمه حب؟! ممكن في لحظة زي دي تكره نفسك.. تكره قلبك اللي بيحب من غير فرامل.. وتقول كان عقلي فين وانا بعمل كل ده في نفسي.. وازاي مشيت

السكة دي للآخر.. وإزاي وافقت أكمل في علاقة قايمة على تعبي أنا بس.. تبص وراك.. تلاقيك مخدتش غير وجع قلبك.. ويصعب عليك كل المرات اللي قطعت فيها من روحك واديته.. بيبقى زيك زي اللي حط تحويشة عمره في مشروع وخسرها.. الأنانية مشكلة حلها الوحيد إنك تتعلم امتى تبطل تدّي.. إمتى تقول لا.. أنا مش هاجي على نفسي تاني.. أنا لازم آخد موقف.

أول ما تحس إنك في علاقة بتاخد منك أكتر ما بتديك.. امشي.. إنت الكسبان.. وإلا هتفضل طول عمرك تزرع في أرض بور.. اللي بيحب نفسه أكتر منك يبقى مبيحبكش.. مايستاهلكش.. اللي ميحطكش اختيار أول في حياته مينفعش يفضل في حياتك لحظة واحدة.. عارف إنك هتتعب شوية وهتعاني من أعراض الانسحاب.. بس الخسارة القريبة دلوقتي.. أحسن بكتير ما تعيش تبني في حد بيهدك.. الحب يعني «إحنا».. يعني أنا أتعب عشانك، وانت تقدّر تعبي.. تحس بقيمة اللي بعمله.. تبقى ممتن لتضحياتي.. ساعتها أنا هعمل المستحيل وانا شايف إنه عادي.. وهحس إني بتعب عشان الشخص اللي يستاهل.. الدنيا مش هتقف على حد مهما كنت بتحبه.. وكل الناس ممكن حالها يتصلح إلا «الأناني».. الأناني مبيحبش حد وعشان كده ميستاهلش إن حد يحبه.

* * *

اليابسة السادسة
اليابسة الكاذبة



«لو نصارح بعض»

الكذب

الكذب هو كرة التلج اللي بتتدحرج لحد ما تاخد كل حاجة في سكتها في الآخر.. وده لأن أي علاقة في الدنيا قايمة على جدار اسمه «**الثقة**».. الثقة لو انهارت.. أي حاجة تانية مش هيبقى ليها أي معنى!

مفيش كدب اضطراري، الكدب اسمه كدب في كل الحالات، مفيش كدبة صغيرة أو كدبة كبيرة.. اللي يكدب في دي يكدب في دي، وما دام فيه كدب يبقى فيه سر، وكل ما الأسرار بتكتر بين أي اتنين بيحبوا بعض كل ما المسافة اللي بينهم بتزيد.. كل ما هما الاتنين بيحسوا إن فيه حاجز ما بينهم.. الصراحة اللي تخلينا نخسر بعض دلوقتي.. أحسن من الكدب اللي يخلينا نتصدم في بعض ونخسر بعض بعدين.. الكدب أول خطوة في طريق الخيانة.. الكدب مش بس إنك متقولش الحقيقة.. الكدب كمان هو إنك تخبي حاجة لازم تقولها.. حتى لو التاني مسألش عنها.. لازم انت من نفسك تروح تقول.. عشان ميجيش اليوم اللي تتسأل فيه سؤال متعرفش تجاوب عليه.. أي كلمة بتقولها

وانت مش حاسس بيها كدبة.. أي ضحكة مش من قلبك كدبة.. أي مشاعر بتمثلها عشان ترضي الطرف التاني كدبة.

استمرارك في علاقة انت مش مرتاح فيها..

كتبت في قصيدة تزوير في مشاعر رسمية:

«كان كل كلامي اللي بيتقال
متقال علشان تطييب خاطر..
كداب شاطر
أقنعها انها كل حياته..
مع إنه أناني بيتسلّى..
مشكلتي اتحلت؟
لا بالعكس..
الطين عمال بيزيد بلة..
عايش وبكمل حدوتة أنا عارف إيه هو آخرها
وهقضّي معها يومين حلوين
بعديها هدور على غيرها»

وعشان كده متقولش لحد إنك بتحبه عشان ترضيه.. قولها وقت ما تبقى حاسسها.. لازم إنت تكون أول واحد مصدق نفسك وانت بتقول اللي جواك.. كل العلاقات اللي في الدنيا بتمر بأزمات.. وبفترات ملل وبأيام طويلة من الفتور والجفاف العاطفي..

انسحب وقتها..

خد جنب لحد ما تسترد مشاعرك ناحية اللي كنت بتحبهم..

الحب الحقيقي مش هيختفي في زحمة المسافات.. ابعد شوية عشان تعرف ماهية مشاعرك.. وهل فعلًا كنت بتحب بجد ولا خلاص؟ أو على الأقل لسه بتحب ولا بطلت؟! هو أنا ممكن أبقى بحب حد وأبطل أحبه؟! الحقيقة أيوه.. وده لأنك كنت بتحب نسخة سابقة من نفس الشخص.. نسخة اتغيرت بالوقت لنسخة جديدة انت متعرفهاش ومش قادر تحبها.. إحنا بنتغير بالوقت.. ولازم مشاعرنا تجاري التغيّر اللي بيحصل في شخصيتنا.. وإلا هنلاقي نفسنا عايشين مع بعض بس مش حاسين بحاجة.. بنحب بعض في ذكرياتنا وفي مراحل حبنا الأولى.. وده لأن الملل عامل زي الصدأ اللي بياكل قلوبنا.. بنمل عشان دي سنة الحياة.. وعشان إحنا قدّام بعض طول الوقت.. العين لما بتعتاد وجود شيء قدامها مبتشوفوش.. ما بالك بالقلب.. إحنا بنمل عشان كده كده هييجي وقت، والدنيا تاخدنا، ونتلهي في زحمة الالتزامات.. إنت كزوج هتتلهي في شغلك، والأيام هتاخدك من كل حاجة.. هيجيلك وقت تبقى بتصحى تروح الشغل وترجع تنام.. وهي كمان حياتها هتتزحم بالبيت والولاد وبكل واجبتها كأم.

كلنا بييجي علينا وقت وننسى بعض.. ونبقى بنقول ونعمل كل حاجة من ورا قلوبنا.. هنمر بفترات زهق مش هتخلص غير لو

فضينا لبعض شويه.. جددنا حبنا.. فكّرنا نفسنا بالنسخ القديمة.. وراجعنا شريط حياتنا من الأول.. وافتكرنا أول مرة اتقابلنا.. وإزاي كان فيه لهفة في السلام والكلام.. وإزاي كنا بنستنى الأيام اللي هنتقابل فيها بفارغ الصبر.. وإزاي هي كانت شايلاك في تعبك.. وإزاي انت شقيت عشان تبقى معاها في بيت واحد.

كلنا عندنا حواديت من دي.. كلنا عندنا ذكريات محتاجين نفتكرها من وقت للتاني.. الملل شرّ لا بد منه.. بس لازم نقاومه ونتغلب عليه.

في مسرحية «العيال كبرت».. قد يبدو مشهداً كوميديّاً لكنه من أوقع ما يكون.. لما سعيد صالح كان بيشرح لكريمة مختار إزاي تجدد في معاملتها لأبوه عشان متجيش واحدة تانية تخطفه.. أنا متفق معاكوا إن الراجل اللي عنده ضمير عمره ما هيبص بره.. ولا هتيجي واحدة حتى لو نازلة من السما تاخده من بيته وعياله.. بس إحنا بشر.. وقد نمر بلحظات ضعف.. قدام كلمة حلوة بطلنا نسمعها في البيت وسمعناها بره..

سعيد صالح كان بيقولها:

= ماما انسي الطبيخ شوية وفكري في نفسك..

– الحمد لله باكل كويس وأنام كويس..

= إنتي مفيش في بؤك غير الأكل والنوم؟

– إزاي يا سلطان؟ الغسيل.. لسه لمّالكم غسيل قد كده أما

ألحق أخش أطبقه.

= يا ماما.. يا ماما افهميني، فيه حاجات أهم من الطبيخ والغسيل لازم الست تفكر فيها.

- قولي إيه أهم من كده؟

= بابا مثلاً.

وبعد كده بشوية قال لها:

= بصراحة لازم تغيّري نفسك.. لازم تتقلبي.

- أتقلب؟! راجل؟!

= لا ست.

- أومال أنا إيه يا سلطان؟!

= إنتي أم.. أم عظيمة ست بيت هايلة، أجدع ستب بيت في الدنيا، أجدع واحدة تطبخ محشي ومكرونة في العالم.. كل اللي بتفكري فيه ولادك وبيتك وبس.

- طب إيه أهم من كده بقى؟

= جوزك!

الست غصب عنها بتنسى الراجل، وبتختصر دوره في التزاماته ناحية البيت.. الراجل بعد فترة بيحس إنه موظف في البيت زي ما هو موظف في الشغل.. كل دوره إنه يكفي بيته وبس.. لحد ما بيبقى ده الطبيعي بتاعه بعد كده.. وأما تيجي الست تسأله عن محبته واهتمامه يقول: هو البيت ناقصه حاجة؟!

كل الرجالة اللي في العالم اتفقوا على نموذج واحد من الستات.. واختصروا فيه أحلامهم كلها..

النموذج ده كان شخصية «روقة» في فيلم العار.. حتى نور الشريف وهو بيقدمها لإخواته كان معتز بيها وبيقولهم: «روقه الست بتاعتي».. ساعتها حسين فهمي كان مستغرب جدًّا من اختياره، وقاله: بقى تطلق بنت الإخشيدي بيه.. المثقفة الشيك، وتتجوز بنت بلدي زي دي؟!

اجتماع الرجالة حوالين شخصية «روقة» من يوم ما كتبها محمود أبو زيد لحد النهارده كان في إنها ست كانت هي مساحة الراحة والسكينة في حياة جوزها.. لدرجة إنه قال عنها: «كنت بقلع همومي على عتبتها».. الشخصية كان ليها ظروف خاصة.. خصوصًا إنها مكانتش بتخلّف.. فكانت حاسة بشيء من النقص، عوّضته بإنها كانت بتعمل المستحيل حرفيًّا عشان ترضي جوزها.. كانت بتقدم له كل ما تستطيع من الاحتواء والاهتمام وحرفيًّا مبترفضلوش طلب، كان هو ابنها الوحيد.. لدرجة إنها ضحّت بروحها عشانه.

طبعًا تظل «روقة» شخصية سينمائية، والواقع مغاير، خصوصًا لو جينا نحسبها كويس، هنلاقي إن «روقة» اتظلمت في النهاية.. لكن خلينا ناخد جانب واحد من الشخصية، الجانب اللي كل الرجاله بتشوفه إيجابي ومريح، بعيدًا عن باقي

الأحداث.. لازم الست تلاقي مساحة لجوزها في زحمة أيامه.

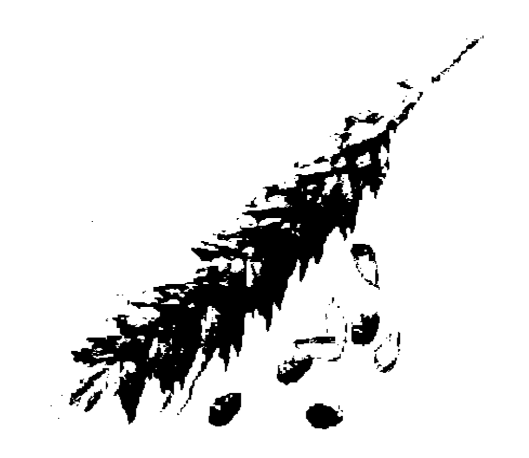
لازم يحس إنه ليه وقت في جدولها.. لازم يحس إنها بتدور عليه.. وكذلك الراجل لازم يخلي الست عايشة في أمان معنوي.. وواثقة إنها لو سابته وسط مليون ست مش هيدور غير عليها هي.. الملل عقبة لازم نتجاوزها عشان منبقاش مضطرين نكدب أو نزوّر مشاعرنا تجاه بعض عشان اللي بيكدب النهارده سهل جدًّا إنه بكره يخون.. لو مقدرتش تخرج سجن الملل.. ولقيت نفسك مش قادر تكمل غير وانت بتكدب «امشي».. وزي ما قالت أنغام في أغنية لو نصارح بعض اللي كتبها الشاعر بهاء الدين محمد:

«لو نصارح بعض في بداية لقانا..
لو في يوم ملينا أو ضعنا في هوانا..
نتفق نبعد وننسى كل شيء..
الفراق أهون كتير أوي مـ الخيانة
كل واحد يمشي حرّ.. ليه نعيش في عذاب ومرّ
الفراق جرح لحظة والخيانة جرح عمر».

اللي بيكدب مش هيروح النار اللي في الآخرة بس.. الكدب ممكن يدخلك النار اللي في الدنيا برضو!

***

اليابسة السابعة
الرحيل



النهاية

«كنا بنقول إن الفراق ده مستحيل»

كلمة النهاية مرعبة أوي..

كلمة بتحسسك إن كل حاجة بتخلص إن كل اللي عشته وحلمت بيه، واتمنيت إنه يدوم بينتهي، واقف بتشوف كل اللي بنيته بيتهد قدامك، ومش عارف تعمل حاجة، مش عارف تقول حتى «استني».. عشان اللي عايز يستنى بجد مبيستناش حد يقوله..

كلمة **«الفراق»** هي أكتر كلمة بتقبض قلبي، وبتحسسني إني هبقى لوحدي، أنا أصلاً لحظات الوداع بتقطف كل الورد اللي في روحي وبتدبلني، وداع أي حد.. كفاية أصلًا إنه اسمه وداع.. فكرة إنك مش هتشوف حد تاني.. وإن خلاص دي آخر مرة.. آخر نظرة عين أو آخر حضن.. أو آخر كلمة.. ساعتها بتسأل نفسك هو خلاص كده فعلًا؟!

وقتها حتى لو قضيت حياتك كلها مع الشخص ده بتحس إنك مشبعتش منه.. بتحس بلسعة برد.. برد الوحدة عشان كده بقيت ماشي بودع كل حاجة عشان لو جرى لي حاجة أو جرى لهم حاجة.. يبقي آخر مشهد نهايته سعيدة..

بدخل كل الأماكن كأني آخر مرة هدخلها.. بحضن كل الناس، وبطوّل في السلام.. وبرغي على قد ما أقدر.. حياة الإنسان ممكن تتغير في لحظة.. ممكن مكالمة تليفون تخليك شخص تاني مدى الحياة.. ممكن خبر تعرفه يقطم حتة كبيرة من روحك.. أنا كنت بسمع عن الموت.. عمره ما قرّب من حبايبي.. أو عمري حتى ما كنت بشوف حد كل يوم وفجأة مات.. بس مرة واحدة ومن غير أي مقدمات أبويا قال لي: «جدتك ماتت».

كنت عارف إنه بيقول الحقيقة.. بس عقلي رفض يصدّق.. رفض يشوفها ويسلّم عليها، رفض يقف قدام قبرها، أو يدخل بيتنا القديم من يوم ما ماتت.. سبت كل حاجة زي ما سبتها آخر مرة.. وقلت لنفسي هي هناك.. وأقنعت نفسي إني أنا اللي مقصر، ومش بروح أسأل عليها.

في قصيدة **على باب مطار القاهرة** كنت بوصف مشهد فراقي لأختي.. المشهد السنوي المعتاد كل مرة بعد ما أجازتها، وترجع على الرياض:

«مشهد وداع..
أختي بتنزل بالشنط..
ودموعنا نزلت جري ورهاع السلم
سكت الكلام والحضن..
خد راحته واتكلم

فحضنتها وكأني آخر مرة هحضنها..
وكأني مش هحضنها غير مرة
نزلت دموعي جوا مني ومنها فضحكنا من بره
قولت لها كويس على فكرة.. هتفضّي البيت
فقالت لي براحتك اشبع بيه.. لكن خد بالك من ماما
«مها» دايمًا نكدية وعلى طول تقلبها مشاعر ودراما
سبتها ومشيت وجريت ناحية.. أقرب شباك ألمح عينها
بصيت علشان أشبع منها..
مشبعتش مين فينا بيشبع.. من حد في وقت ما بيسيبه
ده الواقع وده دايمًا عيبه..
إحنا ف أيام فيها وطننا ماشي يوقع ناس من جيبه»

عندي فوبيا من المطارات.. من مجرد فكرة إن فيه حد بحبه، وفيه بيني وبينه مسافة.. فكرة إني مش هعرف أشوفه وقت ما أحب.. عشان كده لو بتشوف اللي بتحبهم وقت ما تبقى عايز فانت في نعمة كبيرة ربنا ما يحرمك منها.. وانا في ثانوي كنت بهرب من المناسبات العائلية والتجمعات اللي فيها قرايبي.. لما كبرت بقيت بشحت المناسبات اللي تجمعنا، وبقيت بقعد في وسطهم، وأضحك من قلبي.. وأستطعم لقاهم وقعدتي معاهم، وونسهم اللي عندي بالدنيا.. أوقات الفراق بيعملك صدمة كده بتحس إن عقلك هنج.. وتبقي عامل زي العيل الصغير لما يتوه

في حتة، ويبقى مش عارف يرجع بيته إزاي.

«عندما قالوا لي في المستشفى إن زوجتك ماتت، لم أعرف حينها ماذا أفعل.. كنت أريد أن أذهب إلى المنزل لأخبرها بما حصل؛ لكي تقول لي هي ماذا أفعل».

ليو تولستوي

أول ما سمعت أغنية حماقي «صابر على حالي» مكانتش معلقة معايا أوي، لحد ما سمعت فيها جملة بتقول «**تاني يا قلبي تاني.. هبقى لوحدي تاني**»، الجملة دي قسمت روحي نصّين، حسيت إني عايز أقول له أيوه ده أنا.. دي مشكلتي الأبدية.. ده فيلم الرعب اللي بشوفه كل يوم.. أنا بفضل أتنازل وآجي على كرامتي، وأقدم السبت والحد، وأولع صوابعي العشرة شمع، عشان مخسرش اللي بحبهم.. أنا لو عاملت اللي بحبهم بالمثل.. هصحي ألاقيني عايش في الدنيا لوحدي!

جيت في فترة كنت برمي ورا ضهري.. اللي عايز يمشي الباب مفتوح.. مشيت ومبصتش ورايا، وكنت مرتاح طول الفترة دي.. بس قلبي رجع في كلامه.. معرفتش أعيش لوحدي.. كنت مرتاح آه بس مكنتش عايش.. كنت مرتاح من عذاب كرامتي اللي باجي عليها، وقلبي اللي بحطه تحت رجليهم.. مشكلتي إني لما بحب، الفرامل بتسيب عندي.. بنجرف وبحب

بكل ذرة في جسمي وروحي.. وللأسف ده كان دايماً بيُستغل ضدي.. الناس كانت تشوف أنا بحبها قد إيه وتسبب لي أذى بنفس القدر.. وأنا كنت شاري والله.. رغم ده كله شاري وباقي عليهم وبقول معلش وبعذرهم وبقول جايز المشكله فيّا.

فضلت أعمل المستحيل عشان أرضيهم لحد ما المستحيل ده بقى الطبيعي.. ومبقاش حد يحس بقيمة اللي بعمله أو بالتعب اللي بتعبه عشان يبقوا مبسوطين.. أنا عمر ما كان عندي طلبات.. ولا كنت عايز حتى أسمع كلمة شكرًا، أنا كنت عايزهم يعاملوني زي ما بعاملهم.. كنت عايز أتحب وانا عايش.. وأحس بحبهم ده.. مش لازم أبقى مرمي في مستشفي أو بموت عشان أحس إن فيه حد بيحبني ويخاف عليا.. كنت عايز أعرف قد إيه أنا مهم بالنسباهم، وقد إيه فارق معاهم.. كنت لما ببقى متضايق أوي، وكرامتي تنقح عليا، وأقول خلاص انا هقطع علاقتي بيهم.. آجي أقولهم «امشوا» أخاف.. أخاف ليمشوا فعلًا.. الحقيقة معرفش أنا عشت ازاي بكل الضغط النفسي ده.. بس أنا كنت في حالة إدمان.. وربنا يكفيكوا شر اللي بيحبك لما بيفوق ويختار كرامته.. ساعتها بيحرق ذكرياتك كلها بجاز.. بيرجعك غريب في لحظة.. بيمسحك من حياته بلا رجعة.. أنا عارف إن الفراق سلو وسنة من سنن الحياة، ومحدش دايم للتاني.. وإن حتى «الفراق الدبلوماسي» فراق برضو.. وبيوجع برضو وعارف

كمان إن فيه علاقات لازم تنتهي.. ومؤمن جدًّا إن الفراق ممكن يحصل بشكل ودي.. بس كل ده مهما حصل مش هيقلل من وجع الفراق.. ومش هيحد من صدمتك وانت شايف كل حاجة بتنهار.. عشان إنت من الأول مكنتش ناوي تيجي عشان تمشي.. إنت كنت عايز تقعد في القلب ده.. وتستقر وتكمل حياتك معاه.. إنت تخيلت سناريو السعادة الأبدية.. تخيلت أحلامك بتتحقق.. اتجوزتها وسميتوا ولادكوا، واتفقتوا على كل حاجة إلا الفراق.. محدش مننا بياخد باله وهو بيخطط لبكره إن فيه خطة إلهية بالفعل موجودة.. وإن فيه قسمة ونصيب، وإن القلوب أرزاق.

حتى الناس لما بيموت لها حد بتبقى مؤمنة إن ده قدر ربنا، وإن دي حكمته وبترضى بيها.. بس تقولك «هو بس وجع الفراق».. عشان كده ربنا من رحمته خلق النسيان والصبر وخلي الدنيا تلاهي.. عشان محدش يفوق لأوجاعه، وإلا كانت هتبقي الحياة مستحيلة.. في ديوان «تفاصيل الوحدة والونس» كانت آخر جملة في الديوان بتقول:

«اكتشفت بأن فعلًا الفراق أحسن بداية».

عشان ربنا وحده العالم.. محدش عارف لو العلاقات اللي انتهت دي كانت كملت كان ممكن يبقي حال أصحابها إيه.. وعشان أنا من أنصار إننا نسيب بعض دلوقتي، وننهي الموضوع

باحترام أحسن ما نكمل، ونكره بعض قدام.. يعني زي ما جدتي كانت بتقولي: «وجع ساعة ولا كل ساعة»..

أتوجع دلوقتي وتبقى فترة انعدام وزن وتعدّي.

يا إما أكمل وأفضل أتوجع طول عمري؛ ده لأن العلاقات المهلكة نفسيًّا بتبقى عاملة زي الشجرة اللي لازم تقطعها.. وكل ما بتتأخر في قطعها يوم.. كل ما الشجرة بتكبر، وكل مانت بتضعف، ومبتبقاش قادر تقطعها من الآخر كده.

«يا تكون فارق.. يا تفارق
رغم انك في الحالتين
عمرك ما تكون مرتاح
ودّع واتوجع فترة..
أحسن ما تعيش
بتخبط على باب
ملهوش مفتاح».

ديوان «الحزن البعيد الهادي»

نقطة ومن أول البدايات

* * *

عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ

يقال والعهدة على الراوي إن أحد الملوك طلب من الوزير بتاعه يكتب له على الخاتم جملة إذا قرأها وهو سعيد يحزن.. وإذا قرأها وهو حزين يفرح..

فالوزير كتب على الخاتم جملة بتقول: «**هذا الوقت سيمضي**».

وده لأن من أكبر النعم اللي في حياتنا كبشر هي نعمة التجاوز، تكاد تكون أكبر من نعمة النسيان.

ده لأنك بيبقى عندك القدرة على إنك تعدّي من كل الأحداث اللي بتمر بيها حتى لو فاكرها، تقدر تعيش رغم كل ندباتك القديمة، تقدر تمر من عنق الزجاجة لمتنفس جديد، تقدر تعيد إنتاج نفسك ومتوقفش حياتك عند شخص أو عند حدث معين.

من حوالي سنه كنت راجع من السفر، وكانت مراتي معايا، وملحقناش كرسي ليها جنب شباك الطيارة، ودي حاجة بتفرق معاها شوية، وأنا بقدّر ده.

أول ما دخلنا الطيارة لقينا ٣ كراسي جنب بعض منهم كرسي جنب الشباك، على طول لقيتها دخلت قعدت على

الكرسي.. فحاولت أفهّمها إن الكرسي مش بتاعنا، قالت لي نستأذن من الشخص اللي هييجي يقعد، وفي الوقت ده ظهرت في الكادر «ألكسندرا» صاحبة الكرسي واللي في وسط قعدتنا المليانة بالدردشة عن السفر والأحلام وإعادة اكتشاف الذات، قالت لي إنها فقدت ابنها الكبير في حادثة..

وقتها كل حاجة في حياتها اتجمّدت فعليًّا.. وإنها فقدت قدرتها على التواصل مع الناس، والتواجد في المناسبات الاجتماعية والعائلية.. استغربت جدًّا؛ لأن الست اللي شفتها على الطيارة كانت مختلفة تمامًا عن الست اللي هي بتتكلم عنها.. قالت لي إن مامتها كانت بتطلب منها بشكل يومي إنها تزرع ورد في الجنينة اللي قدام البيت عندها، وإنها مكانتش مهتمة بكلامها في الأول، بس بعد فترة من الإلحاح قررت تستجيب أخيرًا، وبدأت فعلًا في زراعة أنواع مختلفة من الورد في الجنينة، وتشوف الورد وهو بيكبر، وقالت لي على حد تعبيرها: حسيت إن جزء من روحي بينمو مع كل وردة بتفتح في الجنينة.. وبعد فترة بدأت تتجاوز حزنها، وتخرج من دايرتها المغلقة، وتتعرف على ناس جديدة، وتعيد اكتشافها لنفسها، وتبدأ حياتها من تاني.

قالت إنها اكتشفت في نهاية المطاف إن الحياة هتستمر، سواء تجاوزت حزنك أو فضلت فيه.. وإنك لازم تدّي للدنيا فرصة تانية تاخدك.. وتسيب الوقت ياخد مجراه.. وإن الحزن هيفضل

كبير طول مانت لوحدك.. وعشان كده لازم تبدأ تاني مهما كان حجم الخساير اللي اتعرضت لها، ومريت بيها في حياتك.

أنا عن نفسي مدرك تمامًا إن الحزن جزء من الحياة، وإن لولا الحزن اللي بنعدّي منه السعادة مكانش هيبقى ليها أي قيمة، وإن أصعب الساعات برضو بتبقى ستين دقيقة، وإن في النهاية **«هذا الوقت سيمضي»**.

فهرس الموضوعات

تقديم ٥

القسم الأول: السنبلات الخُضر ٩

السنبلة الأولى: البرعم ١١

سحر البدايات ١٣

السنبلة الثانية: الفروع ٢١

«زدني بفرط الحب فيك تحيرًا» ٢٣

السنبلة الثالثة: السنبلة الصادقة ٣٥

«واللي صدق في الحب قليل» ٣٧

السنبلة الرابعة: الجذور الثابتة ٤٣

الذكريات ٤٥

السنبلة الخامسة: العتاب ٥١

«حلو العتاب» ٥٣

السنبلة السادسة: السنبلة الطيبة ٦١

«بالكلام الحلو ترجع لي ابتسامتي» ٦٣

السنبلة السابعة: البقاء للأجمل ٧٣

«اوعي تمشي» ٧٥
القسم الثاني: «أُخر يابسات» ٨٣
اليابسة الأولى: سنبلة وحيدة في الصحراء ٨٥
«الوحدة» - «محتاج لحد أكمله وأكمل معاه» ٨٧
اليابسة الثانية: العطش ٩٧
«قليل منك يكفيني» ٩٩
اليابسة الثالثة: الإهمال ١٠٧
الإهمال ١٠٩
اليابسة الرابعة: أزمة الخوف ١١٧
«الخوف» ١١٩
اليابسة الخامسة: قفص الأنانية ١٢٧
الأنانية ١٢٩
اليابسة السادسة: اليابسة الكاذبة ١٣٥
«لو نصارح بعض» ١٣٧
اليابسة السابعة: الرحيل ١٤٥
النهاية «كنا بنقول إن الفراق ده مستحيل» ١٤٧
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ١٥٥